التعليق

على الأصول الثلاثة

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
أحمد بن يحيى النجمي

ما يجب على المسلم تعلمه

المسألة الأولى
العلم

❐ اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ:

الأُولَىٰ: العِلْمُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ.



التعليق

۞ **قَولُه**: «**اعلم رحمك الله**»: أوَّلًا كلمة: «اعلم» هو استثارةٌ لانتباه الشَّخْص.

۞ **قَولُه**: «**رحمك الله**»، هذه دعوةٌ مِنَ المُؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ.

۞ **قَولُه**: «**أَنَّه يجب علينا**»؛ أي: نحن المُكلَّفين.

❁ **قَولُه**: «**تَعَلَّم أربع مسائل**» هذه المسائل هي المُلخَّصة من سورة العصر، وهي:

❑ **أولا: العلم**:

والعلم: هو مَعْرِفَةُ الله، ومعرفة نَبيِّه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلَّة؛ لأنَّ الله ﷻ يقول مُقْسِمًا علىٰ ذلك: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ وَٱلْعَصْرِ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:١، ٢].

أَقْسَم اللهُ علىٰ أنَّ كلَّ إنسانٍ خاسرٌ، ولا يُستثنىٰ من ذلك إلَّا مَنِ اسْتَثْناهُمُ الله ﷻ بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

الإيمان: هو التَّصْديق[1].

والتَّصْدِيق لا بُدَّ من أن يكون بشيءٍ سَبَق العلمُ به؛ أي: أنَّ الإيمان يقتضي شيئًا يصدق به، وهو التَّصْديق بشيءٍ معلومٍ، وهو ما علمته، فالعلم لا بدَّ أن يكون قبل القول والعمل، إذًا، آمنوا بأيِّ شيءٍ؟ آمنوا بالله.

(١) انظر لزامًا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٢٢ فما بعد)؛ ففيه ذِكْر من قال من أهل السُّنَّة: «إن الإيمان في اللغة: التصديق»، وفيه ترجيح شيخ الإسلام.
قال الشيخ أحمد النجمي رحمه الله: «بمراجعة «مجموع الفتاوىٰ» (٧/ ١٢٢) وُجِدَ أن شيخ الإسلام يَرُدُّ علىٰ من يزعم أن الإيمان هو مجرد التصديق، وأنا لم أقصد هذا، والحمد لله، وإنما لمَّا كان التعليق مختصرًا ويُقصد به ما يفهمه العوام قصدتُ هذا، والآن كتبت تعريف الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة، وأنه لابد فيه من اجتماع تصديق القلب، وإقرار اللسان، وعمل الجوارح، وأنه ما لم تجتمع فيه هذه الثلاث وإلَّا فلا يكون إيمانًا عند أهل السُّنَّة والجماعة».اهـ.

أمَّا التَّعريف الشَّرعيُّ للإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة: فهو اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللِّسَان، وعملٌ بالجوارح.

□ والإيمان بالله يتضمن ثلاثة أمور:

۞ **أوَّلاً:** الإيمان بوجوده ورُبُوبيَّته.

۞ **ثانيًا:** الإيمان بأُلُوهيَّته.

۞ **ثالثًا:** الإيمان بأسمائه وصفاته، وكونه هو المنفرد بسياسة هذا الكون.

فالعلم فَسَّره المُؤلِّف بقوله: الأولىٰ: العلم.

العلم: يُقَال له: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ يعني: عَلِموا وصَدَّقوا.

استنبط الشَّيخ من ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ العلم؛ يعني: أنَّهم عملوا وصَدَّقوا بذلك العلم؛ فالإيمان مستلزمٌ للعلم؛ لأنَّ الإيمان الَّذي هو التَّصْديق لا يكون إلَّا بمعلومٍ.

۞ **قَولُه:** «وهو مَعْرِفَةُ الله»، كيف تَعْرِفُ اللهَ؟

الجواب: معرفة الله عَزَّوَجَلَّ من النَّاحية الإجماليَّة تثبت بالفطرة، فكلُّ مخلوقٍ يعلم أنَّ الله خَلَقه، ومَنْ أنكر ذلك كالمُلحدين، فإنَّه ينكر في الظَّاهر، وهو في باطنه مُستيقنٌ بأنَّ الله هو الَّذي خَلَقَه.

أمَّا معرفة الله بالتَّفصيل، فهذا لا يمكن إلَّا من طُرُق الرُّسُل الَّذين أرسلهم الله إلىٰ بني آدم.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف:٣٥].

إذًا؛ معرفة الله بالتَّفصيل لا يمكن لأحدٍ إلَّا من طريق الرُّسُل صلوات الله عليهم، وفي شريعتنا من كتابٍ وسُنَّةٍ قَدْ جاء ما يكفي ويشفي.

بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الَّذي أنزله علىٰ رسوله -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم- وهو القرآن، بَيَّنَ فيه كلَّ شيءٍ، ومن ضمن ذلك، وأعظم شيءٍ فيه وأهمُّ المهمات: معرفة الله، عَرَّفنا اللهُ بنفسه من خلال آياتِهِ الكونيَّة، وآياتِهِ القرآنيَّة.

قال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر:٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧]، إلىٰ غير ذلك من الآيات الَّتي عَرَّفنا الله فيها بنفسه.

قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

إذًا؛ فقَدْ عَرَّفنا الله بنفسه بأنَّ له ذاتًا وصفاتٍ، وأنَّه هو الإله الحقُّ الَّذي ينبغي أن يُفرَد في العبادة دون ما سواه.

ومن خلال ذلك: عَرَفْنَا وُجود الله بأنَّه مستوٍ علىٰ عرشه، بائنٌ من خَلْقه، وعِلْمُهُ بكلِّ مكانٍ.

وعرفنا وحدانيته وانفراده بالخَلْق والرِّزْق؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك:٢١].

وعرفنا بما عرَّفنا به عن نفسه أنَّ له أسماء حُسْنَىٰ، وأنَّ له صفاتٍ عُليا، عُلو ذاتٍ، وعُلو قَدْرٍ، وعلو قَهْرٍ، فهذه هي معرفة الله، نتيجتها إفراده بالعبادة من دعوةٍ وخوفٍ ورجاءٍ وغير ذلك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٨٨].

❑ ثانيًا: «معرفة نبيه»:

أي: معرفة النَّبيِّ ﷺ بأنَّه رسول الله، أرسله إلىٰ النَّاس جميعًا ليخرجهم من الظُّلُمات إلىٰ النُّور، هذه هي مقتضيات الإيمان الَّتي يُؤمن بها المُسْلِم.

❑ ثالثا: «معرفة دين الإسلام بالأدلة»:

أي: بأن تعرف بأنَّ هذا حُكْمُهُ واجبٌ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُه مُحرَّمٌ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُهُ مُستحَبٌّ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُهُ مكروهٌ، ودليلُهُ كذا، وهذا حُكْمُهُ مباحٌ، ودليلُهُ كذا، ولهذا قالوا في أصول الفقه حينما عرَّفوا الفقه: هو معرفة الأحكام الشَّرعيَّة من أدلَّتها التَّفصيليَّة.

المسألة الثانية
العمل بهذا العلم

□ الثَّانِيةُ: العَمَلُ بِهِ.

التعليق

الثَّانية: «**العَمَل به**»: أي: العَمَل بهذا الإيمان، وبهذه المعرفة عرفتَ أنَّ هذا حُكْمُهُ الفرضيَّة ففعلتَه، وهذا حكمُهُ التَّحريم فتركتَهُ واجْتَنبتَهُ، إلىٰ آخر ما يُقَال.

المسألة الثالثة
الدعوة إلى هذا العلم

□ الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

التعليق

الثَّالثة: «**الدَّعوة إليه**»: أي إذا توفَّر فيك الإيمان والعمل، انتقلت إلىٰ الدَّعوة، فأنت تدعو النَّاس إلىٰ ما آمنت به وعلمته لكي يُحرزوا النَّجاة، ولمَّا كانت الدَّعوة تحتاج أوَّلًا إلىٰ حكمةٍ، وثانيًا إلىٰ صبرٍ، قال: «الصَّبر علىٰ الأذىٰ فيه».

المسألة الرابعة
الصَّبر على الأذى في هذا العلم

□ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَىٰ الأَذَىٰ فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

وَقَالَ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «باب: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ».

التعليق

الرَّابعة: «**الصَّبر علىٰ الأذىٰ فيه**»: الأذىٰ في الله لا بدَّ أن يحصل، ولكن قَدْ

يكون الأذىٰ خفيفًا، وقَدْ يكون الأذىٰ شديدًا، لكن يجب عليك أن تواجه ذلك بالصَّبر، ولا تَتضجَّر.

ولهذا أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن قوم تَضجَّروا من الأذىٰ وانتكسوا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:١٠].

هذا الدرس هو مُقتضىٰ سورة العصر ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

فلا تكون النَّجَاةُ من الخَسَارة مَضمونةً، والفلاحُ مضمونًا إلَّا لمَنِ اتَّصفَ بهذه الصِّفات الأربع.

ولهذا قال الشَّافعيُّ: «لَوْ مَا أَنْزَلَ الله حُجَّةً علىٰ خَلْقه إلَّا هذه السُّورة لكَفَتْهم»(١).

وقال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «باب العلم قبل القول والعمل.

والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩]»(٢)، وبالله التَّوفيق.

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٠٣) حيث ذكر عن الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ قوله: «لو تدبَّر الناس هذه السورة لكفتهم».

(٢) انظر «صحيح البخاري» (١/ ٢٤، ٢٥).

الثلاث المسائل التي بها نعرف حقيقة التوحيد

المسألة الأولى
الغاية من الخلق

□ اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ تَعَلُّمُ هَذِهِ الثَّلَاثِ المَسَائِلِ، وَالعَمَلُ بِهِنَّ:

الأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا وَرَزَقَنَا وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل:١٥، ١٦].

التعليق

□ وأقول: إنَّ هذه الثَّلاث المَسائل نَعرف بها حَقِيقةَ التَّوحيد:

۞ **فالمسألة الأولى:** أنَّ اللهَ خَلَقَنَا ورَزَقَنَا، ولـم يَتركنا هَمَلًا؛ أي: لا نُؤمَر ولا نُنْهَىٰ، بل أرسل إلينا رسولًا دعانا إلىٰ التَّوحيد، وحَذَّرنا من العِصْيان والمخالفة، وحَذَّرنا قبل ذلك أن نشرك مع الله أحدًا، فقَدْ مَكَث رسولُ الله ﷺ عشر سنواتٍ لا يأمر أحدًا بشيءٍ غير التَّوْحيد.

فعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال عمرو بن عَبَسة السلمي رضي الله عنه: «كنتُ وأنا في الجاهليَّة أظنُّ أنَّ النَّاس علىٰ ضلالةٍ، وأنَّهم ليسوا علىٰ شيءٍ، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجلٍ بمكَّة يخبر أخبارًا، فقعدت علىٰ راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيًا، جُرَءاءُ عليه قومُه، فتلطَّفت حتَّىٰ دخلتُ عليه بمكَّة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبيٌّ**». فقلت: وما نبيٌّ؟ قال: «**أرسلني الله**». فقلت: وبأيِّ شيءٍ أرسلك ؟ قال: «**أَرسَلَنِي بِصِلَةِ الأرحام، وكَسْر الأوثان، وأن يُوحَّد اللهُ لا يُشْرَك به شيءٌ**»[1].

وعلىٰ هذا، فيجب أن نعلم: أنَّ الله لم يخلقنا ويرزقنا لغير حكمةٍ، ولغير غايةٍ منشودةٍ ومطلوبةٍ، إذ إنَّ العاقل من المخلوقين يَتنزَّه أن يعمل عملًا لغير حكمةٍ منشودةٍ في ذلك العمل، فكيف بجبَّارِ السَّماوات والأرض؟!

(١) أخرجه مسلم (٨٣٢).

إنَّ اللهَ خَلَقَ هذا الكون؛ سماءه وأرضه وجباله وبحاره، وما فيه من شمسٍ وقمرٍ وليلٍ ونهارٍ، وخَلَق العَوالِمَ الثَّلاثة، كلُّ ذلك خَلَقه لحكمةٍ أرادها، فجعل الملائكة عالمًا كلُّه خيرٌ، يأمرهم بما أراد من سياسة هذا الكون.

وقَدْ جعل لكلِّ شيءٍ في هذا الكون ملائكةً، ملائكةً للبحار، وملائكةً للرِّيح وخزنها وإرسالها، وملائكةً للسَّحَاب، وملائكةً للجَنَّة، وملائكةً للنَّار، وملائكةً للأرحام، وملائكة الموت، إلىٰ غير ذلك.

وجعل الجِنَّ والإنس مُؤهَّلين للخير والشَّرِّ، والطَّاعة والمعصية، ابتلاهم بذلك حكمةً منه ﷻ خَلَقهم للعبادة، وسَلَّط عليهم الشَّيَاطين، وزَيَّن لهم الدُّنيا، فمنهم مَنْ أطاعه، ومنهم مَنْ عصاه، والطَّاعة لا تكون طاعةً إلَّا إذا كانت خالصةً لله، وتابعةً لما بَيَّنه الله في كتابه، وعلَّمه الرَّسول ﷺ أُمَّتَه.

فالأمم الَّتي مَضَتْ كلُّ أُمَّةٍ لها رسولٌ أرسل إليها، وختَم الرُّسُل بمُحمَّدٍ ﷺ، أرسله الله إلىٰ هذه الأُمَّة يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، ويُحذِّرهم من عبادة غيره؛ فمَنْ أطاع هذا الرَّسُول ﷺ فاز بخيري الدُّنيا والآخرة، ومَنْ عصاه لقي العذاب الأليم.

ولنتأمَّل ما هو السَّبَب في إهلاك الأمم الَّتي هلكت؟ أليس عصيانهم لرسلهم؟

نقول: بلىٰ، هو عصيانهم لرسلهم، فما أهلك اللهُ قومَ نوحٍ إلَّا بسبب عصيانهم رسولهم نوحًا عليه السلام، وما أهلك الله قوم عاد إلَّا بذلك، وكذلك قوم

ثمود؛ أي: قوم صالح، ومن بعدهم من الأمم، فرعون وقومه، ومَدْيَن الَّذين أُرسل إليهم شعيبٌ، وقَومَ لوطٍ، وكم من أممٍ هلكت ولم نعلم عنها، وما أخبرنا الله إلَّا عن عددٍ قليلٍ من الرُّسُل.

إذا علمنا أنَّ سبب هلاك الأمم هو عصيانهم لرُسُلهم؛ فإنَّ الواجب علينا أن نطيع رسولنا فيما أمرنا به من عبادة الله وحده.

ولنعلم عِلْمَ اليَقين أنَّ اللهَ ما خَلَقَنا ورَزَقَنا إلَّا لِنَعْبَده وحده لا شريك له، فمَنْ عبد غيره، فقَدْ أتىٰ بالذَّنْب الَّذي لا يغفر، واستوجب الخلود في النَّار، وتحريم الجنَّة عليه.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨].

وقال علىٰ لسان عيسىٰ عليه السلام: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢].

المسألة الثانية
خطورة الشرك

□ **الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ أَحَدٌ؛ لَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

التعليق

الثَّانية: يجبُ أن نَعْلَمَ أنَّ الله لا يَرْضَىٰ أن يُشْرَك معه في عبادته أحدٌ، لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نَبيٌّ مُرْسلٌ، فلا يَجوز لأحدٍ من النَّاس أن يدعو أحدًا من دون الله مهما ارتفع مقامه عند ربِّه، وعَلَتْ مرتبته عنده، وإِنَّ أعظم المخلوقين مرتبةً عند الله هما:

١- جبريل من الملائكة عليه الصَّلاة والسَّلام.

٢- ومُحمَّد من بني آدم عليه الصَّلاة والسَّلام.

فمَنْ دعا واحدًا منهما، أو دعا غيره، فإنَّه يُعتبَر قَدْ أشرك بالله شركًا أكبر مُوجِبًا للخلود في النَّار.

ولهذا قال المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الثَّانية: أنَّ الله لا يَرْضىٰ أن يُشْرَكَ معه في عبادته أحدٌ؛ لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، ولا نبيٌّ مُرسَلٌ**».

وقَدْ مثَّلْنا لك للمَلَك المُقرَّب بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، والنَّبيِّ المُرسَل بمُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يرضىٰ أن يُدعىٰ أحدٌ من هؤلاء ولا غيرهم.

والأدلَّة علىٰ ذلك من كتاب الله وسُنَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تُحصَىٰ.

ومن ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨].

يصحُّ أن نقول: إنَّ المَسَاجد هي أعضاء السُّجُود السَّبعة، وأوَّلها الجَبْهَة، وكذلك اليَدَان والرُّكْبتان وأطراف القَدَمين.

ويصحُّ أن نقول: إنَّ المساجد هي المساجد المَبْنيَّة الَّتي بُنِيَتْ لعبادة الله، هذه المساجد مَبنيَّة علىٰ الأرض، مَنِ الَّذي خلق الأرض الَّتي تَسْجد عليها؟

لا شكَّ أنَّه الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلا يَجوز لك أن تسجد عليها لغيره؛ لأنَّك إذا فعلتَ، استعملتَ مُلكه في عبادة غيره.

ويصحُّ أن تُفسَّر بالأعضاء الَّتي خَلَقها الله فيك.

فتَبيَّن أنَّ المساجدَ يَصِحُّ أن تُفسَّر بالأعضاء، واللهُ هو الَّذي خَلَقَها فيك، فلا يجوز لك أن تَسْجُدَ بها لغيره؛ لأنَّك إذا فعلت ذلك تكون قَدِ استعملت خَلْقَه في عبادة غيره، ويصحُّ أن تُفسَّر بالمساجد المعروفة؛ فلا يجوز لك أن تَسجدَ فيها لغير الله.

المسألة الثالثة
الولاء والبراء

□ **الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ اللهَ، فَلَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

التعليق

الثَّالثة: «أنَّ مَنْ أطاع الرَّسول ووَحَّد الله، فلا يجوز له موالاة مَنْ حادَّ الله ورسوله، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ﴾ [المجادلة:٢٢]».

فمَنْ أشرك بالله فقَدْ حَادَّ الله ورسوله، ومَنْ أقرَّ الشِّرك وأجازه، فَقَدْ حادَّ الله ورسوله.

ولنتذكَّر هنا أنَّ بعض مُؤسِّسي المناهج الدَّعويَّة عَمِل الشِّرك بنفسه، وأقرَّه، وأجازه من غيره، ولنضرب مثلًا: «حسن البنا» كان يقول في حفل المَوْلد في اللَّيالي الأولىٰ من ربيعٍ الأوَّل:

هذا الْحَبيبُ مع الأحبابِ قَدْ حَضَرَا وسَامَحَ الكلَّ فيما قَدْ مَضَى وجرى

نقل هذا أخوه عبدُ الرَّحمن البنا في كتاب جابر رزق «حسن البَنَّا بأقلام تلاميذه ومُعَاصِريه» (ص٧٠، ٧١).

إذًا؛ فلا يجوز لنا أن نَتَّخذه إمامًا؛ لأنَّه زَعَمَ أنَّ رسولَ الله يحضر حَفْلَهم، ويغفر ذنوبَهم.

وهكذا غيره من أهل منهجه الَّذين وقع منهم الشِّرك، أو أقرُّوا غيرهم عليه، مع أنَّه قَدْ حاضر في وَكْرٍ من أكبر أوكار الشِّرك وهو مشهد السَّيِّدة زينب، ولـم ينطق بكلمةٍ ولا حرفٍ في النَّهْي عن الشِّرك بالله.

وعمر التلمساني يقول: في كتابه «شهيد المحراب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» (ص٢٣٢): «ولَئِنْ كان هَوَاي مع أولياء الله وحُبِّهم، والتعلُّق بهم، ولَئِنْ كان شُعوري الغامر بالأنس والبهجة في زياراتهم ومقاماتهم بما لا يُخِلُّ بعقيدة التوحيد؛ فإني لا أُرَوِّج لاتِّجاه بذاته؛ فالأمر كلُّه من أَوَّله إلىٰ آخره أَمْرُ تَذَوُّق، وأقولُ للمُتشدِّدين في الإنكار: هَوْنًا ما، فما في الأمر من شِرك، ولا وَثَنِيَّة، ولا إِلْحَاد».

وكذلك مُؤسِّس منهج التَّبليغ: كان يَدين بأربعِ طرقٍ من الطُّرُق الصُّوفيَّة، وكان يُرابِط عند بعض القبور راجيًا للفُيوضات الَّتي تَنزل عليه من أهلها[١].

أمَّا السُّروريَّة والقُطبيَّة[٢]: فهم يُحِبُّون المشركين، ويُبْغضون الموحِّدين،

(١) **قال الشيخ أحمد النجمي** رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتاب «المورد العذب الزلال فيما انتقد علىٰ بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال» في الباب العاشر: فيما انتقد علىٰ جماعة التبليغ:**
«جماعة التَّبليغ هِيَ واحدةٌ من الجماعاتِ الدَّعويَّة المَوْجودة عَلَىٰ السَّاحةِ، وقَدْ تَأسَّستْ في مُنْتصف القرن الرَّابع عشر الهجري (أي: القرن الماضي) عَلَىٰ يد المُؤسِّس لها، وهو الشَّيخ محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي.
ترجمة المُؤسِّس: وُلِد مُؤسِّس هَذِهِ الجماعة وهو مُحمَّد إلياس عام ١٣٠٢هـ، وحَفِظ القرآن، وقرأ الكُتُبَ السِّتَّة في الحديث عَلَىٰ المَنْهج الديوبندي الحنفيِّ مَذْهبًا، الأشعريِّ الماتريديِّ عقيدةً، الصُّوفيِّ طريقةً.
والطُّرق الَّتي عندهم أربعُ طرقٍ، وهي:
١ـ الطَّريقة النَّقشبنديَّة.
٢ـ الطَّريقة السَّهْروردِيَّة.
٣ـ الطَّريقة القادريَّة.
٤ـ الطَّريقة الجشتية.
وقَدْ أَخَذ الشَّيخُ محمد إلياس المذكور البيعةَ الصُّوفيَّةَ عَلَىٰ يد الشَّيخ رشيد أحمد الكنكوهي، ثمَّ جدَّدها بعد مَوْت الشَّيخ رشيد عَلَىٰ يد الشَّيخ أحمد السهارنفوري الَّذي أَجازَه في المُبايَعة عَلَىٰ النَّهجِ الصُّوفيِّ المعروف، وكانَ يجلس في الخَلْوة عند قبر الشَّيخ نور محمد البدايوني، وفي المُرَاقبة الجشتية كانَ يجلس عند قَبْر عبد القدوس الكنكوهي الَّذي كانت تُسَيطر عليه فكرةُ وحدة الوُجُود، أقامَ ودَرَس ودرَّس وماتَ في دلهي سنة ١٣٦٣هـ.اهـ.
من كتاب: «حقيقة الدَّعوة إِلَىٰ الله» للشَّيخ سعد بن عبد الرَّحمن الحصين، بِتَصرُّفٍ».

(٢) **قال الشيخ أحمد النجمي** رَحِمَهُ اللَّهُ **في كتاب «المورد العذب الزلال»** (ص ١٨٨):«وَمِنْ وَلائِدِ الإِخْوانيَّةِ: السُّروريَّة والقُطبيُّون، وهُمَا فِرْقتانِ أو حِزْبانِ انْفَصَلتا من الإِخْوانيِّينَ، فالسُّروريَّةُ تُنسَب إِلَىٰ مُحمَّد سرور بن نايف زين العَابِدِين الَّذي هو الآن مُقِيمٌ في مدينة لندن...».
=

علمًا بأنَّ سَيِّد قطب قَدْ حصل منه فواقر؛ فقَدْ كفَّر أُمَّة مُحمَّدٍ ﷺ وهو يعلم علم اليقين عن الدَّولة السَّعوديَّة أنَّها دولةٌ موحدةٌ، وأهلها كلُّهم سُنيُّون، فنجده يقول في مُقدِّمة سورة الحِجْر من «الظِّلال»: «إنَّه لا يُوجد اليوم علىٰ وجه الأرض مجتمعٌ مُسلمٌ، ولا دولةٌ مُسلمةٌ قاعدةُ التَّعامل فيها علىٰ مُقتضىٰ شريعة الله».اهـ.

فهل يجوز لنا أن نَتولَّىٰ هؤلاء القوم أو أن نَسير في رِكابهم ونأخذ بما هم عليه من الحِزْبيَّات؟

حاشا لله، والله ﷻ يقول: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

=

إلىٰ أن قال رَحِمَهُ اللَّهُ في (ص ١٩٨): « أمَّا القُطبيُّون: فهُمْ قومٌ دَرَسوا كُتُبَ سيد قطب، وتَابَعوه في كلِّ ما قاله واعْتَقده، بل وَعظَّموه كلَّ التَّعظيم مِمَّا جَعَلهم يَتَّخذون كلَّ ما قالَه في كُتُبِهِ حقًّا وَصَوابًا وإنْ خالفَ الأدلَّةَ، وبَايَنَ منهجَ السَّلَف، ويَتَّضح ذَلِكَ من الثَّورة الكلاميَّة، والإشاعاتِ الإعلاميَّةِ الَّتي أَشَاعوها ضدَّ الشَّيخ ربيع بن هادي المدخلي حين ردَّ عَلَىٰ سَيِّد قطب في بَعْض الأخطاءِ الاعتقاديَّة الفَظِيعة، وَجَعَلوه مُتجنِّيًا عليه، وظالمًا له، ولم يَحْملهم الإنصافُ أَنْ يعودوا إِلَىٰ تِلْك الأماكنِ والأَرْقامِ الَّتي أشارَ «ربيع» في كتابِهِ إليها كالنَّيْل من نبيِّ الله مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتَّحامل عَلَىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإِسْقاط خِلَافتِهِ من بَيْن خلافة الخُلَفاء الرَّاشدين، وجعلها فجوةً بَيْنها، ونَيْله من باقي الصَّحابة، وجَهْله بتَوْحيد الأُلُوهيَّة، وسُلُوكه مَذْهب الأشاعرة في تَأْويل الصِّفاتِ، وتَمْييعه لكثيرٍ من المَسَائل العَقَديَّة، وغير ذَلِكَ، فاللهُ المُسْتعانُ».

فهذه دعوة الأنبياء الَّتي أَرْسَلَ اللهُ بها مُحمَّدًا ﷺ، وأُرسلت بها جميع الرُّسُل كما يقول الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

وقَدْ فُسِّر الطَّاغُوت: بأنَّه ما تَجَاوَزَ به العبدُ حَدَّه مِن مَعْبودٍ أو مَتبوعٍ أو مُطاعٍ، وإذا فكَّرت في حال أولئك المتبوعين، وجدتَ أنَّهم أُطيعوا في معصية الله، وأُبَاحوا الشِّرك والبدع فتُوبعوا عليها[1].

(١) علمًا بأن المحادة التي عندهم ليست محادة كلية، بل هي محادة جزئية غالبًا، وقد تُوجد المحادة الكلية عند من أشرك بالله شركًا أكبر أو رضي بالشرك الأكبر وأقرَّ عليه، وعلىٰ هذا فالمحادة الكلية تُوجب الكفر المُخرج من المِلَّة؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]، ولما ذكر الله الأنبياء في سورة الأنعام قال: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، أما من كان منهم محادته بالبدع وترك السُّنَّة فإن محادته جزئية مُوجبة للفسق فقط وهو باق علىٰ السلامة، وبالله التوفيق.

معنى الحنيفية

□ اعْلَمْ -أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ- أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وَمَعْنَىٰ «يَعْبُدُونِ» أَيْ: يُوحِّدُونِ.

التعليق

❁ **قَولُه**: «**اعلم أرشدك الله لطاعته**»، كلمة «اعلم» للتَّنبيه، ثمَّ دعا لك بالرُّشد أن يُرشدك الله لطاعته ويُوفِّقك لها.

❁ **قَولُه**: «أنَّ الحَنيفيَّة مِلَّة إبراهيم»، **الحَنيفيَّة هي**: دين الحقِّ، وهو التَّوحيد؛ قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧].

ومعنىٰ حنيفًا: أي: مَائلًا عن الشِّرك إلىٰ التَّوحيد، وعن المعصية إلىٰ الطَّاعة، وعن الفجور إلىٰ البرِّ، وعن البدعة إلىٰ السُّنَّة.

ويقول جلَّ مِن قائل: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣] -صلوات الله وسلامه علىٰ نَبِيِّيهِ وخَلِيلَيْه إبراهيم ومُحمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهما- لقَدْ سلكا سبيل الحقِّ والرُّشد، وهو إفراد الله بالعبادة، ودَعَوْا إلىٰ ذلك أُمَّتيهما، وقَدْ أُمِرْنا باتِّباعهما في ذلك؛ لأنَّ ذلك هو الأمر الَّذي خُلِقت الجنُّ والإنس من أجله.

وقَدْ أخبرنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّه ما خَلَق الجنَّ والإنس إلَّا للعبادة، لم يخلقهما للهوٍ ولا للعبٍ، ولَكِن كثيرًا من الجنِّ والإنس عملوا بغير ما أُمروا به، فسلكوا غير طريق الحقِّ الَّذي رُسِم لهم، واستحقُّوا بذلك غضب الله ومقته وعقوبته.

أمَّا مَنِ اتَّبع مِلَّة إبراهيم ومُحمَّدٍ -صلىٰ الله عليهما وسلم- فوحَّد الله بعبادته؛ فإنَّه ولَوْ أذنب، ولو قارف المعاصي الكبائر، فإنَّه يَرجو من الله الخلاص إلىٰ الجنَّة، وقَدْ دلَّت النُّصُوصُ علىٰ أنَّ أقوامًا من المُوحِّدين يَخرجون من النَّار وقَدْ صاروا حُممًا، فيُوضَعون علىٰ نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبَّة في حَمِيل السَّيْلِ[1].

(١) يشير رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ ما أخرجه البخاري (٦٥٦٠)، ومسلم (١٨٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، يقول الله: من كان في قلبه مثقال حَبَّة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون قد امتُحِشُوا وعادوا حُمَمًا، فيُلقون في نهر الحياة، فيَنبتون كما تنبتُ الحِبَّة في حَمِيل السَّيْلِ**». «**امتحشوا**» احترقوا. «**حُممًا**»: فحمًا. «**الحبة**» بذور البقول والعشب تَنبت في البراري وجوانب السيول. «**حميل السيل**»: غُثاؤه، وهو ما جاء به من طين وغيره؛ فإذا كان فيه حبة واستقرت علىٰ شط الوادي تنبت بسرعة.

أعظم ما أمر الله به وأعظم ما نهى عنه

□ وَأَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمَ مَا نَهَىٰ عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ.

التعليق

فالشِّرك الأكبر: مُحبطٌ للعمل، موجبٌ للخلود في النَّار، قال تعالىٰ علىٰ لسان عيسىٰ ابن مريم: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨]، وقال جلَّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

وقَدِ اهْتَمَّ أصحابُ رسول الله ﷺ لهذه الآية، فقالوا: يا رسول الله، أيُّنا لم يَظْلِم نَفْسَه؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «إنَّه ليس الَّذي تذهبون إليه، وإنَّما المراد

بالظُّلْم الشِّرك، ألم تسمعوا إلىٰ قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾» [لقمان:١٣]»(١).

وفي روايةٍ: «ليس هو كما تَظُنُّون إنَّما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾»(٢).

ومعنى يعبدون: يُوحِّدون؛ لأنَّ الله ﷻ لا يَقبل العبادة إلَّا بالتَّوحيد، كما أنَّ الصَّلاة لا تكون صلاةً إلَّا بطهارةٍ، فكذلك العبادة لا تكون عبادةً إلَّا بالتَّوحيد، وقَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه أنَّه قال: «**أنا أغنىٰ الشُّركاء عن الشِّرْك؛ مَنْ عمل عملًا أشركَ مَعي فيه غيري تركتُه وشركَه**»(٣).

فالشِّرْكُ: نجاسةٌ للقلوب، ينجسها ويحبط العبادة جميعًا؛ سواء جاءت من القلب، أو من اللِّسان، أو من الجوارح؛ ولهذا قال الله ﷻ لنبيِّه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر:٤، ٥].

ومن هنا نعلم أنَّ المشرك مهما تَقرَّب إلىٰ الله من عبادةٍ فهي باطلةٌ وحابطةٌ، لا يقبل الله منها شيئًا ما دامت ممزوجةً بالشِّرك.

وبالله التَّوْفيق.

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك

❐ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

التعليق

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦]، فهذه الآية: اشتملت علىٰ أعظم أمرٍ، وعلىٰ أعظم نَهْيٍ، فأعظم الأمر هو التَّوحيد، وأعظم النَّهي هو الشِّرك الأكبر المُخرج من المِلَّة.

الثلاثة الأصول التي يجب معرفتها

□ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَىٰ الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

التعليق

لقَدْ أجمل المُؤلِّف الأصول الثَّلاثة في هذه الكلمات: «معرفة العبد ربَّه» بأن يعرفه بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العليا، وكمالاته الَّتي لا يعتريها نقصٌ، ودوامه الَّذي لم يطرأ عليه حُدُوثٌ، وبقائه الَّذي لا يَطرأ عليه فَنَاءٌ.

قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧].

وسيُلمُّ المُؤلِّف بتفاصيل هذه الثَّلاثة الأصول: «معرفة العبد ربَّه، ومعرفته دينه، ومعرفته نَبيَّه مُحمَّدًا ﷺ».

وهذه الثَّلاثة الأصول هي الَّتي يُبنَىٰ عليها الدِّين كلُّه، فلا يدخل العبد إلىٰ

الإسلام إلَّا بالشَّهادتين: «شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله»، ولا يُقبَل له أذانٌ إلَّا بهاتين الشَّهادتين، ولا تصحُّ له صلاةٌ إلَّا بهاتين الشَّهادتين، ولا يُسأل في قبره إلَّا عن ربِّه ودينه ونبيِّه، ولا يُسأل يوم القيامة عند البعث والنُّشُور إلَّا عن هذه الأصول، ولا يُقبَل عمله إلَّا بها، ولا يَثْقُل ميزانه إلَّا بها، ولا يمرُّ علىٰ الصِّراط وينجو من النَّار، ولا يدخل الجنَّة إلَّا بها؛ ولهذا فإنَّه ينبغي الاعتناء بهذه الأصول الثَّلاثة، وإتقان معرفتها؛ ليكون العبد من النَّاجين يوم القيامة.

وبالله التَّوفيق.

الأصل الأول
معرفة الرب ﷻ

❐ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّىٰ جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢].

وَكُلُّ مَا سِوَىٰ اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَمِ.

التعليق

❁ **قَوْلُه**: «**إذا قيل لك: مَنْ رَبُّك؟ فقل: ربِّي الله**»: هذا تعليمٌ من الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنَّه رُبَّما سُئل، ورُبَّما حَاكَ هذا السُّؤال في القلب؛ لأنَّ هذا ليس بالأمر اليسير، بل هو الأصل الَّذي عليه مدار الحياة الأولىٰ والأخرىٰ، فلا بدَّ أن تعرف مَنْ هو ربُّك؟ وإذا كنت لا تعرف، فهذا شيخ الإسلام يُلقِّنك بأنَّك إذا سُئلت: مَنْ ربُّك؟

أي: سئلت هذا السؤال، تجيبه بقولك: «ربِّي الله الَّذي ربَّاني ورَبَّىٰ جميع العالمين بنِعَمِهِ».

«**العَالَمُون**»: جمعٌ، وكلُّ جنسٍ من المخلوقات عالمٌ، فعالم الإنسان، وعالم الجنِّ، وعالم الإبل، وعالم الطُّيُور، وحتَّىٰ عالم الذَّرِّ والنَّمل والذُّباب، فكلٌّ منها عالم، وأنت واحدٌ -يا عبد الله- من أحد تلك العوالم، وكلُّ هذه العوالم الموجودة علىٰ وجه الأرض كلها تسترزق الله عَزَّوَجَلَّ فهو الَّذي خَلَقها، وهو الَّذي يرزقها بأن يوصل إليها أرزاقها.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وكلُّ ما سوىٰ الله من المخلوقات عوالم، كما بيَّنَّا سابقًا، وكلُّ جنسٍ من المخلوقات عالمٌ.

بم نعرف الرب؟

❐ فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

التعليق

❐ **وأقول: الآيات تنقسم إلى قسمين:**

۞ **آياتٌ كونيَّة**، وهي ما ذكره المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ.

۞ **وآياتٌ قرآنيَّة**، وهي آيات القرآن.

الآيات الكونية الدالة على الرب

❐ وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

التعليق

فأمَّا الآيات الكونيَّة: فهي اللَّيل والنَّهار، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢]، وكذلك الشَّمس والقمر، هما آيتان -أيضًا- من آيات الله عَزَّوَجَلَّ الكونيَّة.

وقَدْ عرَّف المُعَافىٰ النَّهْرَواني في كتابه «الجليس» (الآيةَ) بقوله: «هي العَلَامَةُ الفَاصِلَة، وهي الأُعْجُوبة الحَاصِلَةُ، وهي البليَّةُ النَّازِلةُ»، هذا من حيث تعريف الآية.

فمثال العلامة الفاصلة قول الله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾﴾ [مريم:١٠].

وأمَّا كونها الأعجوبة الحاصلة، فهي الأمرُ العجيب الَّذي فيه العبرة؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ [الشعراء:٨].

۞ **قَولُه** «وهي البليَّة النَّازلة»: أي: العقوبة المفاجئة، قال ﷺ: «**وأعوذ بك من زوال نِعْمتك، وتَحوُّل عافيتك، وفُجَاءة نِقْمتك، وجميع سخطك**»[(١)]؛ لأنَّها تدلُّ علىٰ قُوَّة المُنتقم، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ [القمر:١٥].

والآية من القرآن جمعت المعاني الثَّلاثة لدلالتها وفصلها وإبانتها.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان من دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك...**»».

المخلوقات دالة على ربوبية الله

□ وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت:٣٧].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

التعليق

ومن مخلوقاته ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ إلىٰ الآية قوله: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

الرب: هو المعبود بحق

□ وَالرَّبُّ: هُوَ المَعْبُودُ.

التعليق

«**والرَّبُّ هو المعبود**»؛ أي: هو المستحقُّ للعبادة؛ لأنَّه هو الَّذي خلق، ورزق، وأعطىٰ كلَّ مخلوقٍ ما يصلح له.

وكان ينبغي أن يقول الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: (والربُّ هو المعبود بحقٍّ)؛ لأنَّ المعبودات بغير حقٍّ كثيرةٌ، ولست مُستدركًا علىٰ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ولكن يَتبيَّن من هذا أنَّ أعمال العباد مهما جلَّت وكثرت فإنَّ النَّقص يلازمها؛ لأنَّ كلمة: «الرَّب هو المعبود» يمكن أن يقع علىٰ المعبود بحقٍّ، والمعبود بغير حقٍّ، وإذا احترز القائل وقال: «الرَّبُّ هو المعبود بحقٍّ»، فإنَّه يسدُّ الباب علىٰ الخُرَافيِّين.

الدليل على عبودية الله وحده

□ وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١، ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ»(١).

التعليق

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]؛ أي: خلقكم وخلق الَّذين من قبلكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، و«لعلَّ» من الله واجبة الوقوع، كما يُقَال، فمَنْ عَبَدَ الله عَزَّوَجَلَّ عبادةً مَبنيَّةً علىٰ الإيمان به، أحدثَ له ذلك في نفسه التَّقوىٰ والخوف من الله عَزَّوَجَلَّ.

(١) يشير إلىٰ قول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» (١/ ١٩٧): «وهذه الآيةُ دالَّةٌ علىٰ توحيده تعالىٰ بالعبادة وحده لا شريك له».

۞ **قوله**: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]؛ أي: أنَّه هو الَّذي استقلَّ بخَلْق ما ترون؛ خلق الأرض الَّتي تَحْتكم، وجعلها الله فراشًا لكم، والسَّمَاء الَّتي فوقكم بناها وسَوَّاها بغير عَمَدٍ، وأنزل من السَّماء ماءً فأخرج به أزواجًا من نباتٍ شَتَّىٰ؛ أشجارٌ لا ثمر فيها هي رزقٌ للبهائم، وأشجارٌ فيها ثمرٌ هي رزقٌ للبهائم وبني آدم، كلُّها تنبت في أرضٍ واحدةٍ، وتُسقَىٰ من ماءٍ واحدٍ، وتختلف ثمراتها، وذلك يدلُّ علىٰ قدرة الصَّانع جل وعلا.

أنواع العبادة التي أمر الله بها

□ وَأَنْوَاعُ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا؛ مِثْلُ: الإِسْلَامِ، وَالْإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَمِنْهُ الدُّعَاءُ.

التعليق

أمَّا الدُّعاء؛ فهو جائزٌ للمخلوق الحيِّ فيما يقدر عليه، وغير جائزٍ فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فلو قلنا: يا فلان، أنزل لنا مطرًا، لكان هذا الدُّعاء مُحرَّمًا وكُفرًا مُخْرِجًا من المِلَّة.

وفي الحديث: «**الدُّعاء مخُّ العبادة**»(١).

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وضعفه الألباني رحمه الله في «ضعيف الجامع» (٣٠٠٣).

قال الشيخ أحمد النجمي رحمه الله: «والحديث قد صحَّ من حديث النعمان بن بشير بلفظ: «**الدعاء هو العبادة**» مع أن هذا الحديث (حديث أنس) والذي جاء من طريق ابن لهيعة لا يخالف الحديث الصحيح؛ لأن كلمة «**هو العبادة**»، أي: خُلاصتها، كما أن المُخَّ هو الخلاصة، فلا تَنَافي بين الحديثين، وبالله التوفيق».اهـ.

والدَّليل: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر:٦٠].

أمَّا لو قلت: يا فلان، أعطني المِسْحاة[١] أو القِدْر أو الفأس لأَنْتفعَ بهذه الحاجة وأردَّها، فإنَّ هذا جائزٌ لا شيء فيه.

إذًا؛ فقَدْ عرَّفنا من خلال هذا أنَّ الدُّعاء ينقسم إلى قسمين:

١- دعاءٌ للمخلوق فيما يقدر عليه، فهذا جائزٌ.

٢- دعاءٌ للمخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فهذا ممنوعٌ[٢].



(١) **المسحاة**: المجرفة من الحديد، وهي تُستخدم لقطع الأشجار، وسقي المزارع، وحفر القبور، وغيرها.

(٢) يقصد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالدعاء هنا: دعاء المسألة والطلب، لا دعاءَ العبادة.

من أنواع العبادة: الخوف

□ وَالْخَوْفُ.

التعليق

□ **كما أنَّ الخوف ينقسم إلى قسمين:**

١- خوفٌ طبيعيٌّ، كخوفِ الإنسان من الحَيَّة، وخوفِهِ من العدوِّ، فهذا لا شيء عليه فيه، ولا يكون من العبادة.

٢- والخوفُ من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، كمخافة بعض النَّاس مِمَّنْ يزعمون أنَّ لهم الولاية، ويزعمون أنَّهم يَطَّلعون علىٰ الغيب، وأنَّهم يقدرون علىٰ أن ينزلوا بك كارثةً، فهذا الخوف شركٌ مُخرجٌ من المِلَّة، وهو الَّذي يُسمَّىٰ خوف السِّرِّ[1].

(١) **معنىٰ خوف السر**: «أن يخاف العبد من غير الله تعالىٰ أن يُصيبه مكروه بمشيئته وقدرته، وإن لم يُباشره؛ فهذا شرك أكبر؛ لأنَّه اعتقاد للنفع والضر في غير الله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِيَّـٰىَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾ [النحل:٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾[المائدة:٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس:١٠٧]». انظر «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص ٢٤).

من أنواع العبادة: الرجاء

□ وَالرَّجَاءُ.

التعليق

وهكذا الرَّجاء، كأَنْ ترجو من المخلوق أن يقرضك مالًا، أو ينفعك فيما يستطيع عليه، فهذا جائزٌ، أمَّا أن ترجوه في أمرٍ من الأمور الَّتي لا يقدر عليها إلَّا الله؛ كشفاءِ المرض، وصرف العاهة، وإنزال الغيث، والنَّصر علىٰ الأعداء، فهذا الرَّجاء للمخلوق مُحَرَّمٌ، بل شركٌ أكبر؛ لأنَّ هذا من صفات الأُلوهيَّة الَّتي لا يتَّصف بها أحدٌ غير الله عَزَّوَجَلَّ، وهكذا يُقَال في جميع هذه الأشياء من التَّوكُّل، والرَّغبة، والرَّهبة، وغيرها، ويُستثنَىٰ من ذلك الخشوع.

أنواع أخرى من العبادة

□ وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا كُلُّها للهِ تَعَالَىٰ.

التعليق

والذَّبْح والنَّذر، فإنَّهما لا يجوز للمخلوق بحالٍ، والمقصود بالذَّبح: العبادة.

أمَّا الذَّبْح للمأكل، وإكرام الضَّيف، وللتَّكسُّب كالجَزَّار، فهذا جائزٌ، والحمد لله.

والذَّبح لغير الله: هو إراقة الدَّم لغير مَنْ خَلَقه، كأن تُريقَ الدَّمَ في الدَّابَّة لغير خالقها وهو الله، تريد من هذا المخلوق ما لا يَقْدر عليه إلَّا الله؛ كإعطاء الولد، وإنزال المطر، وغير ذلك.

أمَّا النَّذْر: فلا يجوز لأحدٍ أن ينذر لغير الله تعالىٰ.

وقد استدلَّ علىٰ ذلك كلِّه بقوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]، فمَنْ صرف منها شيئًا لغير الله فهو مشركٌ كافرٌ.

والمراد به: الأشياء الممنوعة على حسب التَّقْسيم الَّذي سَبَرْناهُ سابقًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

ثمَّ أتىٰ بالأدلَّة علىٰ ذلك.

وبالله التَّوفيق.

الأدلة على وجوب هذه العبادات لله وحده

❐ **والدَّليلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧].

وَدَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

وَدَلِيلُ التَّوَكُّلِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣]، **وَقَوْلُهُ:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ﴾ [الطلاق:٣].

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

وَدَلِيلُ الخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ﴾ [المائدة:٣].

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر:٥٤].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وَفِي الْحَدِيثِ: «**إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(١).

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق:١]، **وَ**﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

وَمِنَ السُّنَّةِ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»(٢).

وَدَلِيلُ النَّذْرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان:٧].

وَدَلِيلُ الخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].



(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٢٥١٦) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «المشكاة» (٥٣٠٢).

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم (١٩٧٨) من حديث عليِّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

التعليق

الله ﷻ قَدْ أخبرنا بأنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزٌ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥].

أمَّا الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله فهي حرامٌ، بل وشركٌ أكبر؛ قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩] وما أشبه ذلك.

۞ **قَولُه**: «ودليل الخوف قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]».

سبق أن قلنا: إنَّ الخوف منه طبيعيٌّ، ومنه خوفُ عبادةٍ، فالطَّبيعيُّ كأن يخاف الإنسان الحَيَّة، أو يخاف الأسد، أو يخاف العدوَّ، أو ما أشبه ذلك، فهذا خوفٌ طبيعيٌّ ليس له دَخْلٌ في العبادة إلَّا أنَّه إذا أسرف فيه[1] رُبَّما أنَّه يحصل منه ضررٌ عليه، أمَّا كونه يكون شركًا فلا.

والخوف الَّذي هو من العبادة: أن تخاف من مخلوقٍ بأن يفعل فيك شيئًا لا يقدر عليه إلَّا الله؛ كالتَّأثير في الرِّزْق، وما أشبه ذلك، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلَا

(١) أي: أكثر منه.

﴿تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]؛ أي: لا تخافوا العدوَّ، فأنا أنصركم عليهم، وذلك أنَّ بعض النَّاس يعتقد في الشَّخص الفلانيِّ أنَّ له سلطانًا غيبيًّا يدرك به الَّذين يَتكلَّمون فيه، ويعمل بهم ما يعمله من الإيذاء.

□ وقَدْ علمنا أنَّ الخوف ينقسم إلى قسمين:

١- خوفُ عبادةٍ.

٢- خوفٌ طبيعيٌّ من العدوِّ الظَّاهر، وأنَّ المُحرَّم هو خوف العبادة.

أمَّا قوله: ودليل الرَّجاء قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

□ الرَّجاء ينقسم إلى قسمين:

١- **مُبَاحٌ:** وهو أن ترجو من المخلوق أن يعطيك قرضًا -مثلًا- لتتغلَّب به علىٰ أزمةٍ مَاليَّةٍ عندك، هذا لا شيء فيه.

٢- **الرَّجاء الممنوع:** وهو أن ترجوه فيما لا يقدر عليه إلَّا الله من شفاء المرض، وإنزال المطر، ورفع العاهة، وإعطاء الولد، وما أشبه ذلك.

أمَّا معنىٰ الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾؛ أي: أن يؤمن بلقائه بعد الموت ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ ومعنىٰ كونه صالحًا: أن يكون خالصًا لله، وصوابًا علىٰ ما شرعه رسول الله ﷺ.

وهكذا يُقال في التَّوكُّل؛ فإذا قلت للإنسان: أنا مُتوكِّلٌ علىٰ الله، ثمَّ عليك في هذا الأمر، وكان ذلك الأمر مِمَّا يقدر عليه البشر؛ فإنَّ ذلك جائزٌ.

أمَّا التَّوكُّل: وهو الاعتماد القلبيُّ علىٰ المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، فهذا لا يجوز إلَّا لله، فإنْ حصل مِنَ العبد في أمورٍ يقدر عليها العباد، فليقل: إنِّي مُتوكِّلٌ علىٰ الله ثمَّ عليك في قضاء هذه الحاجة، بأن تجعله مرتبًا بعد الله بـ: «ثمَّ»، وبدون ذلك لا يجوز؛ لأنَّه تشريكٌ في التَّوكُّل، فالتَّوكُّل علىٰ المخلوق لا بدَّ أن يكون مُقيَّدًا بما يستطيعه العبد وفي حاجةٍ بعينها، أمَّا إطلاق التَّوكُّل فلا يجوز، ولا ينبغي أن يحصل إلَّا لله عَزَّوَجَلَّ.

ودليل الرَّغبة والرَّهبة والخشوع: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠].

فهذه الأمور منها ما هو جائزٌ، كأن تقول: أنا راغبٌ إليك أن تُزوِّجني ابنتك، أو راغبٌ إليك أن تعطيني كذا مِمَّا يقدر عليه، فهذا جائزٌ، لكنَّ الرَّغبة إلىٰ المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الخالق، وكذلك الرَّهبة منه فيما لا يقدر علىٰ فِعْله إلَّا الخالق، فهذا هو المُحرَّم.

وكذلك الخشوع: وهو الخضوع للمخلوق، خضوع يشعر بأنَّك تخاف منه أن يفعل بك ما لا يقدر عليه إلَّا الله، ويتنافىٰ مع حُرِّيَّة المسلم واستعلائه علىٰ الأسباب المَادِّيَّة، فهذا لا يجوز إلَّا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحتَّىٰ في الصُّورة.

فلو قَبَّلْتَ ركبة شخصٍ أو يده إذا كان ذلك مِمَّا يُشْعر بتباين الطَّبقات فإنَّ هذا لا يجوز، أمَّا إذا كان من ابنٍ إلىٰ أبيه أو عَمِّه أو خاله أو جَدِّه فهذا ليس فيه شيءٌ؛ لأنَّه لا يشعر بِرِفْعَة طبقةٍ علىٰ طبقةٍ.

وكذلك يُقَال في الاستعانة: فهي تجوز فيما يقدر عليه الإنسان، وتمنع الاستعانة فيما يكون من خصائص الله مع أنَّ الاستعانة بغير الله (أي: بالمخلوق) فيما يقدر عليه، هذه ينبغي أن تكون مُقيَّدةً بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ ومُرتَّبةً بأن تقول: أستعين بالله ثمَّ بك في الحاجة الفلانية.

كذلك الخشية أيضًا: فالخشية من المخلوق الَّذي له سلطةٌ ويخاف منه ومِمَّنْ تحت يده من أن يؤذيه بأذىٰ، هذا لا يكون شِرْكًا، ولكن الخشية من المخلوق فيما لا يقدر عليه إلَّا الله سبحانه، هذه هي الَّتي تكون من الشِّرك المُخْرج من المِلَّة، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٣]، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران:١٧٥].

أمَّا الإنابة: فلا تجوز إلَّا لله عَزَّوَجَلَّ، ومعنىٰ الإنابة: الرُّجُوع، والتَّوبة من الذُّنُوب.

أمَّا الذَّبْح: فكلُّ ذبحٍ يقصد به التَّقرُّب إلىٰ مَنْ سَفَك له الدَّمَ؛ فهذا يُعتبَر شِرْكًا أكبر، ومن ذلك ما يجري بين القبائل أو الأشخاص، فإذا حصل بينهم شيءٌ قالوا: نذهب إلىٰ فلانٍ، وتكون معنا ذبائح نرضي بها القوم، فيصلون إلىٰ فِنَاء الدَّار، ويذبحون تلك الذَّبائح إرضاءً لأولئك القوم، ويجلسون عليها حتَّىٰ يأتي أولئك القوم الَّذين ذبح من أجلهم، فيقولون: عفونا أو تجاوزنا، فهذا يدخل في الشِّرْك، ويُسمَّىٰ عند أهل اليمن: (عقير)، ويُسمَّىٰ عند بعضهم: (مراضي)؛ يعني: يرضون بها الخصم الَّذي صار عليه الغلط.

أمَّا الذَّبح عند القبور، والأولياء، والنذر لهم: فهذا الأمر واضحٌ -والحمد لله- أنَّه من الشِّرك الأكبر المُخْرِج من المِلَّة.

لكن إِنْ ذُبِحَت الذَّبيحة للضَّيْف إكرامًا له، فهذا أمرٌ مباحٌ، ومعلومٌ أنَّ الذَّبْح له أحكامٌ متباينةٌ؛ فمنه شِرْكٌ أكبر مُخْرِجٌ من المِلَّة كما سبق أن مَثَّلنا له بالذَّبح علىٰ القُبُور، الذَّبح للوليِّ أو الجنِّ، فيشترطون إذا كان للجنِّ أن يكون علىٰ شعرةٍ سوداء، هكذا يقولون.

والذَّبح منه ما يكون حرامًا، لكنَّه غير شركٍ، كالذَّبْح علىٰ المآتم، وكذلك الإسراف، ومنه ما هو مباحٌ كالذَّبح للأكل، يذبح الإنسان لنفسه ليأكل، أو الذَّبْح للتِّجارة كذبح الجَزَّار، وذبح أصحاب المَنَادي[1]، هذا كلُّه جائزٌ، ومن الذَّبْح ما يكون واجبًا أو مسنونًا كذبح الهدي ودم الجزاء، والذَّبْح المذموم الَّذي يكون من الشِّرك والَّذي يقع علىٰ صاحبه اللَّعنة هو ما ذُبِحَ لغير الله بقَصْد التَّعبُّد.

وكذلك النَّذْر: لا يجوز النَّذر إلَّا لله ﷻ، فمَنْ نَذَر لمخلوقٍ بشيءٍ ثمَّ تاب قبل أن ينفذه فلا يَلْزمه تنفيذُهُ؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ نذر أن يُطيع الله فليُطِعه، ومَنْ نَذَرَ أن يَعصي الله فلا يَعْصه**»[2].

وبالله التَّوفيق.



(١) أي: المطاعم التي تبيع اللحم المطبوخ.
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الأصل الثاني
معرفة دين الإسلام

□ **الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالأَدِلَّةِ، هُوَ الاسْتِسْلَامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادِ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ.**

وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلَامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ، وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

التعليق

أقول: هذا يلزم طَلَبة العلم، أمَّا العوام فإنَّه يكفيه أن يعلم أنَّ هذا مباحٌ، وهذا مُحرَّمٌ، وهذا واجبٌ، ولو لـم يعرف الأدلَّة.

وقد عرف العلماء الفقه في كتب أصول الفقه: بأنَّه معرفة الأحكام الشَّرعيَّة من أدلَّتها التَّفصيليَّة، فيُقَال: هذا الحكم حرامٌ لهذا الدَّليل، وذلك الحكم فرضٌ أو واجبٌ بالدَّليل الفلانيِّ، وذلك الحُكْم مستحبٌّ أو مكروهٌ أو مباحٌ بحسب الأدلَّة.

۞ **قَولُه**: «هو الاستسلام»: أي تعريف الإسلام هو: الاستسلام لله بالتَّوحيد، والانقياد له بالطَّاعة، والخلوص من الشِّرْك... هذا تعريفٌ بكلمة الإسلام.

ومعنىٰ «الاستسلام لله بالتَّوحيد»: بأن تكون مُستسلمًا مُنقادًا لأوامره ونواهيه، مطيعًا لها.

ومعنىٰ قوله: «والخلوص من الشرك»؛ أي: بأن تصفي عقيدتك وأعمالك من الشِّرك علىٰ حدِّ قوله تعالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، هذا التَّعريف هنا مناسبٌ، والتَّعريف الآخر الَّذي فيه الولاء والبراء (البراءة من الشرك وأهله)، فهذا التَّعريف شيءٌ وذاك شيء آخر، وكلُّها تدلُّ علىٰ معنىٰ واحدٍ؛ فالخلوص من الشِّرك هو تصفية التَّوحيد، ولا يكون التَّوحيد صافيًا إلَّا بالبراءة من الشِّرك وأهله علىٰ حدِّ قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ۝١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون].

قال: «وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكلُّ مرتبةٍ لها أركانٌ».

أقول: هذه ثلاث مراتب قَدْ جمعها حديث جبريل الَّذي رواه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

فأمَّا الإسلام: فهو يَتعلَّق بأمور الدِّين الظَّاهرة، وأركانه خمسة:

الأولىٰ: التَّلفُّظ بالشَّهادتين: شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ مُحمَّدًا رسول الله، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

أركان الإسلام

❐ **فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ:** شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ.

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

وَمَعْنَاهَا: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، «لَا إِلَهَ» نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، «إِلَّا اللهُ» مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ كَمَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي مُلْكِهِ.

❐ وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا؛ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

التعليق

الركن الأول: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ.

ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله.

«لا إله» نافيًا جميع ما يُعبَد من دون الله، «إلَّا الله» مُثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته، كما لا شريك له في مُلْكِه.

الثَّاني: إقامة الصَّلاة: وهو فِعْلها بشرائطها، وأركانها، وواجباتها.

الثَّالث: إيتاء الزَّكاة: وهو الحقُّ في المال، وقَدْ قال أبو بكرٍ: «والله، لو منعوني عِقَالًا[1] كانوا يؤدُّونه إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتُهُم علىٰ مَنْعه»[2].

وفي روايةٍ: «واللهِ، لأقاتلنَّ مَنْ فرَّق بين الصَّلاة والزَّكاة، فإنَّ الزَّكاة حقُّ المال، واللهِ، لو منعوني عَنَاقًا[3] كانوا يُؤدُّونها إلىٰ رسول الله ﷺ لقاتلتُهُم علىٰ مَنْعها»[4].

الرَّابع: صوم رمضان؛ أي: صوم شهر رمضان.

الخامس: حجُّ بيت الله الحرام؛ فهذه الأفعال الظَّاهرة هي أركان الإسلام، وقَدْ أورد عليها المُؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ الأدلَّة واحدًا واحدًا.

فأورد الدَّليل علىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله: قوله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

(١) **العقال**: هو الحبل الذي تُشدُّ به يد البعير مع ذراعه حتىٰ لا يَشرد.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٤)، ومسلم (٢٠).

(٣) **العناق**: الأنثىٰ من أولاد المعز ما لم يتم لها سَنة.

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٢٤).

ومعنىٰ «لا إله إلَّا الله»؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله وحده، وكلمة «لا إله إلَّا الله» تتكوَّن من نفيٍ، وإثباتٍ؛ فـ «لا إله» تنفي جميع الآلهة، و«إلَّا الله» تثبت العبادة لله وحده لا شريك له.

وإنَّ مِمَّا يَتعلَّق بذلك: البراءة من الشِّرك وأهله الَّتي قرَّرها إبراهيم عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقَدْ كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا أَسْلَمَ أحدُهم، انفصل من أهله وقَرَابته انفصالًا كلِّيًّا، فحقَّقوا بذلك معنىٰ الولاء والبراء، وقَدْ جاء في الحديث عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أنا بريءٌ من كلِّ مسلمٍ يُقِيم بين أَظْهُر المشركين**». قالوا: يا رسول الله، ولِمَ؟! قال: «**لا تَرَاءىٰ ناراهما**»[1].

وبالله التَّوفيق.



(١) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنهما، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (٢٣٧٧).

دليل الشهادة بالرسالة لمحمد ﷺ

□ **وَدَلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

التعليق

❁ **قَولُه:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: من بني جنسكم، لسانه لسانكم، وأحاسيسه أحاسيسكم، وهو منكم قلبًا وقالبًا، إلَّا أن الله فضَّلَهُ بالرِّسالة، واختاره لتحمُّلها، وهذا الخطاب للعرب خاصَّةً، وللنَّاس عامَّةً.

أمَّا كونه للعرب: فلأنَّه من أَنْفَس العرب، لسانه لسان العرب، وهم يعرفونه ويفهمونه، كان قبل أن ينزل عليه القرآن أصدقهم لهجةً، وأعظمهم أمانةً مع فقره وقلَّة ذات يده، عُرِفَ بالأمانة العظيمة، حتَّىٰ أنَّ مَنْ يريد أن يُودِع شيئًا يأتي به إليه، وكانوا يقولون: مُحمَّد بن عبد الله الأمين.

فلمَّا جاءهم بهذه الدَّعوة كَذَّبوه وعَادَوْه وأَلْصَقوا به التُّهَم؛ فتارةً يقولون: كذابٌ. وتارةً يقولون: ساحرٌ. وتارةً يقولون: كاهنٌ.

فصَبَر وصَابرَ حتَّىٰ نَصَره الله عليهم، ودَخَل مَنْ بقي منهم في دينه، وبالأخصِّ بعد أن فتحت عليه مكَّة، فجعل العرب ترسل كلُّ قبيلةٍ منهم وفدًا بإيمانهم، ولم يَتوفَّه الله حتَّىٰ أوعبت جزيرة العرب علىٰ اعتناق دينه صلوات الله وسلامه عليه.

ومعنىٰ قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾؛ أي: عزيز عليه ما أَعْنتكم، أي: ما يشقُّ عليكم، فهو يهمُّه ويعزُّ عليه.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

وقال جلَّ من قائل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران:١٤٤].

ومعنىٰ كونه حريصًا علىٰ أُمَّته؛ أي:حريص علىٰ إيمانهم ومتابعتهم لما جاء به، حتَّىٰ أنَّ الله عاتبه في شِدَّة حرصه بقوله جلَّ من قائل: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦].

والمهمُّ: أنَّ شهادة أنَّ مُحمَّدًا رسول الله هي الجزء الثَّاني من الشَّهادتين المُكمِّلة للَّتي قبلها، فشهادة أَنْ لا إله إلَّا الله: شهادةٌ لله بالوحدانيَّة، وحدانيَّة الخَلْق؛ فهو مُتوحِّدٌ بخَلْق هذا الكون، ورزق مَنْ فيه، وتدبيرهم، ومن ثمَّ فإنَّ الواجب تَوحُّده بالأُلُوهيَّة.

معنى شهادة الرسالة لمحمد ﷺ

□ وَمَعْنَىٰ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، وَاجْتِنَابُ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَلَّا يُعْبَدَ اللهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ.

التعليق

وأمَّا شهادة أنَّ مُحمَّدًا رسول الله فمعناها: الشَّهادة للرَّسول ﷺ أنَّه رسولٌ من عند الله، مُكلَّفٌ بنَشْر الشَّريعة الَّتي حَمَلها، وأُمَّته مُكلَّفةٌ باعتقاد رسالته، وأنَّه لا يشرع إلَّا ما أمره الله بشرعه، ولا يقول إلَّا ما أمره الله بتبليغه.

ومن ثمَّ فإنَّه تجب طاعته فيما أمرَ، واجتناب ما نهىٰ عنه، ولا تُقبَل من عبدٍ عبادةٌ إلَّا أن تكون علىٰ شرعه ﷺ، وهاتان الشَّهَادتان هما القطبان الأساسان للإسلام، وهما الشَّرْطان لقَبُول الأعمال؛ فلا يُقبَل عملُ أيِّ عبدٍ إلَّا باعتقاد رسالة النَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ ووجوب متابعته وطاعته؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء:٦٤].

دليل مشروعية الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد

□ **وَدَلِيلُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَتَفْسِيرِ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

التعليق

وأعظم ما أمر الله به من العبادات: الصَّلَوات الخمس، وهي حقُّ الله في البدن، وعلىٰ كلِّ عبدٍ أن يأتي بها، ومَنْ لَمْ يفعل فإنَّه لا دينَ له.

وقَدْ دلَّت الأدلَّة علىٰ كُفْر تارك الصَّلاة، وأنَّه يقتل إذا دُعِيَ إليها ولم يفعلها، فإنَّه يُقتَل كفرًا علىٰ قولِ كثيرٍ من أهل الأثر.

وبه قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ (من أئمَّة المذاهب).

ويُقتَل حدًّا علىٰ قول الجمهور أيضًا، وهو مذهب الشَّافعيَّة والمالكيَّة، ورواية في المذهب الحنبلي.

فالصَّلاة: حقُّ الله في البدن. **والزَّكاة:** حقُّ الله في المال.

والدَّليل على ذلك: قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

دليل مشروعية الصيام والحج

□ **ودليل الصيام:** قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

ودليل الحج: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

التعليق

ودليل الصيام: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣].

ودليل الحج: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

والصِّيام والحجُّ: هما الرُّكْنان المُكمِّلان لأركان الإسلام.

وبالله التَّوفيق.

المرتبة الثانية: الإيمان

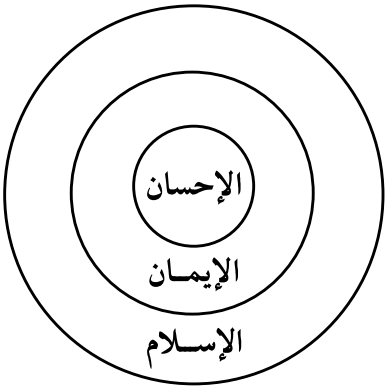
□ **الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ.**

التعليق

«**المرتبة الثَّانية: الإيمان**»: أي المرتبة الثَّانية من مراتب الدِّين الثَّلاث.

والإيمان أخصُّ من الإسلام؛ فإذا جمعا، وَقَع اسم الإسلام علىٰ الأعمال الظَّاهرة، واسم الإيمان علىٰ العقائد الباطنة، وإذا ذُكِرَ واحدٌ منهما شمل الآخر، إلَّا أنَّ الإيمان أخصُّ من الإسلام، والإسلام أعمُّ من الإيمان.

قال الله تعالىٰ مُخاطبًا الأعراب الَّذين قالوا آمنا، فعاتبهم الله في ذلك، وقال: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤].



هذه مراتب الإسلام والإيمان والإحسان؛ أي: هذه الدَّوائر هي مراتب الدِّين.

بيان شعب الإيمان

□ **وَهُوَ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا: قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.**

التعليق

قال: «وهو» أي: الإيمان «بضعٌ وسبعون شعبةً».

وَرَدَ: «**بضعٌ وسبعون**»، وورد: «**بضعٌ وسِتُّون**».

«**فأعلاها: قول لا إله إلَّا الله**»، فأعلىٰ هذه الشُّعَب: قول لا إله إلَّا الله؛ لأنَّها هي الكلمة الَّتي يدخل بها العبد في الإسلام، وهي الكلمة الَّتي تعصم دم العبد وماله، وهذه الشُّعَب مُتردِّدةٌ بين أعلاها وأدناها(١).

ومنها: ما هو أعظم من غيره في الأجر، وقَدْ ذكر النَّبيُّ ﷺ مَنِيحة الشَّاة(٢).

(١) أخرج البخاري (٩) ومسلم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»، وأخرج مسلم (٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان **بضع وسبعون** -أو: **بضع وستون شعبة- فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

(٢) أخرج البخاري (٢٦٣١) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربعون خَصْلة أعلاهن مَنيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها، وتصديق موعودها- إلا أدخله الله بها الجنة**». **ومنيحة العنز**: هي أنثىٰ العنز تُعطىٰ ليُنتفع بلبنها ثم تُردُّ.

وورد أيضًا في الصَّدَقة بالماء أنَّه أعظم أجرًا من غيره؛ فعن سعيدٍ: أنَّ سَعْدًا أتىٰ النَّبيَّ ﷺ فقال: أيُّ الصَّدقةِ أعجبُ إليك؟ قال: «**الماءُ**»(١).

وعن سعد بن عبادة أنَّه قال: «يا رسول الله، إنَّ أمَّ سعدٍ ماتت، فأيُّ الصَّدقةِ أفضلُ؟ قال: «**الماءُ**». قال: فحفرَ بئرًا، وقال: هذه لأمِّ سعدٍ»(٢).

أمَّا إماطة الأذىٰ عن الطَّريق، فهي مِنْ أدنىٰ الحسنات إلَّا أنَّ الحسنات لا يُستَهان بشيءٍ منها.

وقَدْ ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجلٌ يمشي في الطَّريق، وجدَ غُصنَ شوكٍ علىٰ الطَّريق فأَخَّره، فشكر الله له، فغَفَرَ له**»(٣).

وورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**بينما كلبٌ يُطيف برَكِيَّةٍ**(٤) **قَدْ كاد يقتله العطش، إذ رأته بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت مُوقَها**(٥)**، فاسْتَقَتْ له به، فسَقَتْه إيَّاه، فغُفر لها به**»(٦).

والمُهِمُّ: أنَّ هذه الشُّعب مَنْ عَمِلَ بشيءٍ منها مخلصًا لله فيه، فهو قَدْ أرضىٰ الله عز وجل، ولعلَّ الله عز وجل أن يغفر له بشيءٍ من ذلك.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٩)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (١٤٧٤): وإسناده مرسل صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود (١٦٨١)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح أبي داود» (١٤٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢)، ومسلم (١٩١٤).

(٤) **الركية**: البئر.

(٥) **الموق**: ما يُلبس فوق الخُفِّ.

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥).

أركان الإيمان

□ **وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.**

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وَدَلِيلُ القَدَرِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

التعليق

قال: «وأركانه سِتَّةٌ»؛ أي: أركان الإيمان سِتَّةٌ كما ورد في حديث جبريل وغيره[1]:

١- أن تؤمن بالله.
٢- وملائكته.
٣- وكتبه.
٤- ورسله.
٥- واليوم الآخر.
٦- وتؤمن بالقدر خيرِهِ وشرِّه.

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

□ **أمَّا الإيمان بالله، فهو يشمل:**

۞ **أولًا:** الإيمان بوجوده ﷻ، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر:٤١].

۞ **ثانيًا:** الإيمان بتوحُّده بالأُلُوهيَّة، وأنَّه لا إله غيره، ولا مستحقَّ للعبادة سواه، جَلَّ ربًّا، وتقدَّس إلهًا، هو الَّذي خلق هذا الكون، وهو المُتصرِّف فيه، وهو المُدبِّر له، يُسعد ويُشقِي، ويَمنع ويُعطي، ويُفقر ويُغني، ويُمرض ويُصِحُّ، ويُحيي ويُميت، كلُّ الأمور بيده، ومَصير كلِّ العباد إليه، لا إله إلَّا هو، ولا يَستحقُّ العبادة أحدٌ سواه.

۞ **ثالثًا:** الإيمان بأسمائه وصفاته، فله القدرة الكامِلة، والحكمة الشامِلة، هو السَّميع البصير، وهو الحكيم الَّذي أعجزت حكمتُهُ العقول، اللَّطيف بعباده، يجب أن نصفه بالصِّفات العليا، ونُسمِّيه بالأسماء الحسنىٰ إلَّا أن أسماءه وصفاته تَوْقيفيَّةٌ، لا تُؤخَذ إلَّا عن الله أو عن رسوله ﷺ.

نؤمن بأنَّه علىٰ العرش استوىٰ، بائنٌ من خَلْقِهِ، وعلمه شاملٌ لهم.

ونؤمن بأنَّه ينزل كلَّ ليلةٍ في الثُّلُث الأخير إلىٰ السَّماء الدُّنيا، فيقول: «**مَنْ يدعوني فأستجيبَ له، مَنْ يَسألني فأُعْطيَه، مَنْ يستغفرُني فأغفرَ له**»[1].

(١) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ونؤمن بأنَّ له وجهًا لا كالوجوه، وأنَّ له يدًا لا كالأيدي، صفاته كامِلة كذاته، يجب أن نؤمن بها، ونعتقد معناها، ونُفوِّض كَيفيَّتها.

قال مالكٌ لمَنْ قال له: كيف استوىٰ؟

قال: «الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والجحود به كفرٌ»(١).

والمُهِمُّ: أنَّ الإيمان به يشمل الإيمان بوجوده، والإيمان بتوحُّده بالأُلُوهيَّة، والإيمان بأسمائه وصفاته.

□ **ثانيًا: أمَّا الإيمان بالملائكة:** فيجب أن نؤمن بجميع أجناسهم، وأنَّ منهم حَمَلة العرش، ومنهم الملائكة الكَرُوبيِّين الَّذين حول العرش، وأقربهم إليه جبريل وميكائيل وإسرافيل ومَلَك الموت وخازن النَّار وخازن الجنَّة.

خازن النَّار: مَالك.

وخازن الجنَّة: رَضوان(٢).

(١) **قال الشيخ الإمام الحافظ تقي الدين، أبو محمد، عبد الغني المقدسي في كتابه البديع «الاقتصاد في الاعتقاد»** (ص٨٦): «أمَّا قولُ مالك فثابتٌ عنه».
أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٥١٦) من طريقين، وذكره الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧)، وحكم بأن إسناده جيد، ورواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة» رقم (٦٤٤)، (٢/ ٣٩٨)، وأبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف» ضمن «الرسائل المنيرية» (١/ ١١١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥)، والدارمي في «الرد علىٰ الجهمية» (ص٢٧)، والذهبي في «العلو» (ص١٠٣) وقال: وهذا ثابت عن مالك».اهـ.

(٢) سئل الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: هل ورد أن اسم خازن الجنة رضوان؟

=

وخُزَّان النَّار خَلَقهم الله لغضبه، فهم لا يَضحكون ولا يرحمون.

وخُزَّان الجنَّة بخلاف ذلك.

ومِمَّا يدلُّ على كثرة الملائكة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ زار ليلة أُسري به البيت المعمور، فأخبره جبريلُ بأنَّه: «**يُصلِّي فيه كلَّ يومٍ سبعون ألف مَلَكٍ إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم**»(١).

فإذا كانوا منذ خلق اللهُ السَّماوات والأرض هذا دَأْبُهم، فمن الَّذي يَقْدر علىٰ إحصائهم؟! قال ﷺ: «**إنِّي أرىٰ ما لا تَرَون، وأسمع ما لا تسمعون، أَطَّت السَّماء وحُقَّ لها أن تَئِطَّ**(٢)؛ **ما فيها موضع أربع أصابع إلَّا ومَلَكٌ واضعٌ جبهته ساجدًا لله، واللهِ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تَلَذَّذتم بالنِّساء علىٰ الفُرُش، ولخرجتم إلىٰ الصُّعُدات تَجْأرون إلىٰ الله، لوددت أنِّي كنت شجرةً تُعْضَدُ**»(٣).

=

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «اشتهرت به الآثار أن اسمه رضوان؛ لكنني لا أعرف فيه حديثًا صحيحًا عن الرسول عليه الصلاة والسلام». راجع «لقاء الباب المفتوح» (٩٩) في يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأول عام ١٤١٦هـ.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) **الأطيط**: صوت الرَّحْل وشبهه، ومعناه: أن كثرة من في السماء من الملائكة العابدين قد أثقلتها حتىٰ أطَّت.

(٣) أخرجه ابن ماجة (٤١٩٠)، والترمذي (٢٣١٢) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «حسن غريب، ويروىٰ من غير هذا الوجه أن أبا ذر قال: «لوددت أني كنت شجرة تعضد»، ويروىٰ عن أبي ذر موقوفًا، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: في «صحيح ابن ماجة» (٤١٨٠)، دون قوله: «لوددت...».

فيجب علينا أن نؤمن بالملائكة، وأنَّهم موجودون معنا، ولكن لا نراهم كما أنَّ الجنَّ موجودون معنا، ونحن لا نراهم.

□ **ثالثًا: ونؤمن بالكتب المنزلة**: منها ما سُمِّي، ومنها ما لم يسمَّ؛ فالمُسمَّىٰ: توراة موسىٰ، وإنجيل عيسىٰ، وزبور داود، وصُحُف إبراهيم، وقرآن مُحمَّدٍ ﷺ.

وأنَّ كلَّ رسولٍ قَدْ أُعْطِي كتابًا.

وأنَّ كلَّ رسولٍ قَدْ أُمِرَ بالتَّوحيد.

وأنَّ كلَّ رسولٍ قَدْ حذَّر من الشِّرْك؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

يجب أن نؤمن بالكتب المنزلة علىٰ الرُّسُل إجمالًا فيما أجمل، وتفصيلًا فيما فصل، أمَّا كتابنا القرآن، فيجب أن نؤمن به إيمانًا مُفصَّلًا.

□ **رابعًا: الإيمان بالرُّسُل**: وهو أن نؤمن برسل الله، مَنْ ذُكِر منهم نؤمن به علىٰ التَّعْيين، ونؤمن برسالته علىٰ الإجمال، ومَنْ لم يُذْكَر منهم فنحن نؤمن بأنَّ الله قَدْ أرسل رسلًا لهداية البشريَّة، أوَّلهم نوحٌ، وآخرهم مُحمَّدٌ ﷺ.

□ **خامسًا: الإيمان باليوم الآخر**: وهو اليوم الَّذي لا يوم بعده.

اليوم الَّذي يُقدَّر بخمسين ألف سنةٍ.

اليوم الَّذي تأتي فيه كلُّ نفسٍ تجادل عن نفسها.

وأنَّ ذلك اليوم يقع فيه الجزاء علىٰ الأعمال؛ فالمؤمنون لهم الجنَّة، والكافرون دارهم النَّار، نعوذ بالله منها.

ونؤمن بالجنَّة والنَّار، وأنَّ إحداهما مأوىٰ المحسنين، والأخرىٰ مأوىٰ المسيئين.

□ **سادسًا وأخيرًا: الإيمان بالقَدَر** خيرِهِ وشرِّه، حلوهِ ومُرِّهِ.

وأنَّ كلَّ ذلك من الله ﷻ بقَدَرٍ منه، وأنَّه كتبَ في اللَّوْح المحفوظ كلَّ ذلك، وعَلِم الشقيَّ منهم والسَّعيد، وأنَّهم صائرون إلىٰ ما كتب عليهم، غير أنَّ ذلك سيكون باختيارٍ منهم، وأنَّ الله ﷻ يُعاقبهم علىٰ ذلك؛ لأنَّهم استحبُّوا الضَّلالة علىٰ الهدىٰ، والغيَّ علىٰ الرُّشد.

نسأل الله عزوجل أن يجعلنا من الرَّاشدين المَهْديِّين.

ثمَّ أورد الأدلَّة؛ فآية البقرة[1] دليلٌ علىٰ أركان الإيمان ما عدا القَدَر.

أمَّا دليل القَدَر، فهو قول الله عزوجل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩].

(١) أي: قوله تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ الآية [البقرة:١٧٧].

المرتبة الثالثة: الإحسان

□ **المَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ.**

رُكْنٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس:٦١].

التعليق

سبق لنا أَنْ شرحنا مرتبة الإسلام بأركانه، ومرتبة الإيمان بأركانه، وقلنا: إنَّ مرتبة الإسلام أعمُّ، ومرتبة الإيمان أخصُّ، وأنَّه إذا ذكر الإسلام والإيمان

معًا فإنَّ الإسلام يكون مقصودًا به الأعمال الظَّاهرة، والإيمان مقصودًا به العقائد الباطنة.

أمَّا الإحسان: فهو أعلىٰ مراتب الدِّين وأفضلها.

□ والإحسان في اللُّغة يقع على معنيين:

۞ **المعنى الأول:** يقع علىٰ معنىٰ الإتقان: بأَنْ يتقن العبد عبادةَ ربِّه، مُخلصًا فيها حتَّىٰ يكون الإيمان بالغيب كالشَّهادة.

وقَدْ فُسِّر الإحسان: بـ: «**أن تعبد الله كأَنَّك تَرَاه، فإِنْ لم تكن تراه فإنَّه يَرَاك**».

فقوله: «**تعبد الله كأَنَّك تراه**» أعلىٰ المرتبتين، بمعنىٰ: أنَّه يكون الإيمان بالغيب كالشَّهَادة، وهذا معنىٰ قوله: «**كَأَنَّكَ تَرَاه**».

والدليل من السُّنَّة: حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوسٌ عند النَّبيِّ ﷺ إذ طلع علينا رجلٌ...»، الحديث[1].

والمرتبة الثَّانية في الإحسان، وهي أقلُّ من المرتبة الأولىٰ: «فإِنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك» أن تؤمن وتعتقد بأنَّ الله يراك في عبادتك فتُحسنها.

۞ **أمَّا المعنى الثَّاني:** فهو الإحسان إلىٰ المخلوقين بِبَذْل المعروف لهم وإيصاله إليهم، وكلُّ معروفٍ داخلٌ في ذلك، فالصَّدَقة علىٰ الفقراء

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٨)، وفيه تعريف الإسلام، والإيمان، والإحسان.

والمساكين بقَدْر الاستطاعة، وتعليم الجاهل، وإنقاذ الواقع في الورطة ولم يكن مُحدثًا فيها حدثًا، فسعيت في إنقاذه، أو خَفَّفت هذه الورطة عنه، أو أَعَنْته بنوعٍ من الإعانة، إمَّا بجاهك أو بمالك، والأمر بالمعروف والنَّهْي عن المنكر، والكلمة الطَّيِّبة، والإحسان إلىٰ الجار، هذا من المعروف... إلىٰ غير ذلك من المعروف الَّذي تَتعدَّد أنواعه، وتَكثُر جِهاته.

إلَّا أنَّ حديث جبريل فَسَّر الإحسان بالمعنىٰ الأوَّل، والمعنىٰ الثَّاني يدخل فيه، فإذا تَصدَّقتَ مُوقنًا بالخُلف، دَخَل في ذلك، وإذا صبرتَ علىٰ الأذىٰ مُوقنًا بالأجر، دخلَ في ذلك.

□ **وقَدْ تَبيَّن أنَّ الإحسان له معنيان:**

۞ **أحدهما:** هو الإتقان للعمل.

۞ **والثَّاني:** بذل المعروف للخَلْق عبوديَّةً للحقِّ.

۞۞۞

الأصل الثالث
معرفة النبي ﷺ

□ **الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.**

هذا إِلْمامٌ بِنَسَبِهِ صلوات الله وسلامه عليه؛ فهو من ذُرِّيَّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصَّلاة والسَّلام.

□ **والعرب تنقسم إلى قسمين:**

١- **عرب عاربة:** وهي الأصل في العرب، وهم القَحْطانيُّون.

٢- **وعرب مستعربة:** وهم العَدْنانيُّون الَّذين ينتهي نَسَبهم إلىٰ إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصَّلاة والسَّلام.

والنَّبيُّ ﷺ من العرب المستعربة الَّذين يعود نَسَبهم إلىٰ إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه.

وهو دعوة إبراهيم -عليه الصَّلاة والسَّلام- في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ﴾ [البقرة:١٢٩].

ولهذا قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنِّي عبدُ الله في أمِّ الكتاب لخاتم النَّبيِّين، وإنَّ آدم لمُنجدِلٌ في طينتِهِ، وسَأُنبِّئكم بتأويل ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسىٰ قومه**[1]**، ورؤيا أُمِّي الَّتي رَأَتْ أنَّه خرج منها نورٌ أضاءت له قصورُ الشَّام، وكذلك ترىٰ أُمَّهات النَّبيِّين صلوات الله عليهم**»[2].

(١) قال الله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [الصف:٦].

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٨) (١٧٤٠٣) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وضعفه الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٢٠٨٥).

طرف من سيرته ﷺ المشرقة

□ وَلَهُ مِنَ العُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا رَسُولًا.

«نُبِّئ بِـ: «اقْرَأ»، وَأُرْسِلَ بِـ: «المُدَّثِّر».

وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر:١-٧].

وَمَعْنَىٰ: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾؛ أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ الرُّجْزُ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا وَالْبَرَاءةُ مِنْ أَهْلِهَا.

أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ العَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَصَلَّىٰ فِي مَكَّةَ ثَلَاثَ سِنِينَ.

وَبَعْدَهَا أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَىٰ المَدِينَةِ، وَالهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَىٰ بَلَدِ الإِسْلَامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء:٩٧-٩٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الآيَةِ فِي المُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ»(١).

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لَا تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا».

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي المَدِينَةِ، أَمَرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ، مثل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلَامِ؛ أَخَذَ عَلَىٰ هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

ثُمَّ تُوُفِّيَ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ إِلَّا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢/ ٢٧٢).

بَعَثَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَىٰ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ (الجِنِّ والإِنْسِ).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ مَوْتِهِ ﷺ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣٠، ٣١].

التعليق

تُوفِّي النَّبيُّ ﷺ وله من العُمُر ثلاثٌ وسِتُّون سنةً؛ أربعون قبل النُّبوَّة، وثلاثٌ وعشرون نبيًّا ورسولًا.

قال: «نُبِّئ بـ: «اقرأ»، وأُرسل بـ: «المدثِّر»: أوَّل سورة: «اقرأ» هي أوَّل ما بدأ به من الوحي، أمَّا سورة «المُدثِّر» فهي بعد فترة الوحي، وهي الَّتي أمر فيها بالإنذار.

قال: «وبلده مَكَّة»؛ أي: بلده الَّتي وُلد فيها وعاش فيها: حتَّىٰ هاجر إلىٰ المدينة «بعثه الله بالنذارة عن الشِّرك، وبالدَّعوة إلىٰ التَّوحيد».

لا شكَّ أنَّ الله ﷻ أَمَرَه وأَمَرَ كلَّ نبيٍّ بالدَّعوة إلىٰ التَّوحيد؛ فيكون التَّوحيد هو الأساس الَّذي يُبنىٰ عليه الدِّين.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ [المدثر:١-٣].

معنىٰ ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾: المُتلفِّف بثيابه.

﴿قُمۡ﴾: أمرٌ له بالإنذار، بالإنذار عن الشِّرك، والدَّعوة إلىٰ التَّوحيد.

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: عَظِّمْهُ بالتَّوحيد.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾: طَهِّرْ أعمالك من الشِّرْك.

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾: الرُّجز: المراد به الأصنام، كما قاله العلماء.

﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾: لا تهدي الهَدِيَّة تريد أفضل منها.

﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾: اصبر لربِّك فيما قَدَّره عليك من حاجةٍ أو مرضٍ أو غيرهما.

يقول الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخذ علىٰ هذا عشر سنين»؛ أي: أخذ علىٰ الدَّعوة إلىٰ التَّوحيد عشر سنين، لم يأمر أحدًا بصلاةٍ، ولا صومٍ، ولا زكاةٍ، ولا شيءٍ، إذ إنَّ هذه الأشياء إنَّما فُرِضت بعد الهجرة، إلَّا الصَّلاة، فإنَّها فُرِضَتْ قبل الهجرة بثلاث سنواتٍ.

قال: «وبعد العشر عُرِج به إلىٰ السَّماء، وفُرِضَت عليه الصَّلوات الخمس، وصلَّىٰ في مكَّة ثلاث سنين»، وقبل فرض الصَّلاة كان النَّبيُّ ﷺ يُصلِّي ركعتين في الصَّباح، وركعتين في المساء، ويقوم اللَّيل.

قال: «وصلَّىٰ في مكَّة ثلاث سنين، وبعدها أُمِر بالهجرة إلىٰ المدينة» وهي يثرب.

ومعنى الهجرة: أن تهجر بلد الشِّرْك؛ أي: تتركها وتجيء إلىٰ بلد الإسلام؛ لأنَّ الهجرة مأخوذةٌ من الهَجْر وهو التَّرْك، وقَدْ أُمِرَ المسلمون بتَرْك بلاد الشِّرك والقدوم إلىٰ بلد الإسلام.

وحكمها: الوجوب علىٰ مَنْ قدر عليها.

ولهذا أخبر الله عن أقوامٍ بأنَّهم تتوفَّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم بسبب تَرْكهم الهجرة وإيثارهم لبلاد الشِّرْك.

□ يُؤخذ من هذه الآيات:

وجوب الهجرة علىٰ مَنْ قَدَر عليها؛ أن ينتقل من بلد الكفر إلىٰ بلد الإسلام، ذلك لأنَّ بلد الكفر يتعرَّض فيها المؤمن للإيذاء، وتكون السُّلْطة عليه لا معه، وإنْ سَلِمَ من الإيذاء فإنَّه لا يَسْلم من التَّحَاكم إلىٰ غير حكم الله من القوانين الَّتي قَنَّنها البشر، وحَكَموا بها عباد الله، ولكن الهجرة لا بدَّ أن تكون في زمننا الحاضر بإذنٍ من الدَّولة المُهاجَر إليها، فإذا منعت الدَّولة أن تقبل هذا المهاجر، فإنَّه لا حول له ولا قُوَّة إلَّا بالله.

لقد كانت الأمور مُيسَّرةً، أمَّا الآن ففي الهجرة صعوبةٌ، إمَّا أن يكون من

ناحية البلد المُهاجَر منها، وإمَّا أن يكون من ناحية البلد المُهاجَر إليها، فمَنْ تيسَّرت له الهجرة إلىٰ بلدٍ إسلاميٍّ، فإنَّه يجب عليه أن يفعل ذلك، وأنَّ بعض بلدان المسلمين الآن تُشدِّد علىٰ مَنِ التزم دينَ الله في كلِّ ما يأتي ويَذَر.

□ **والخلاصة:** أنَّ أيَّ مسلمٍ في بلدٍ يحكمها الكُفَّار بالقوانين الكُفْريَّة يجب عليه أن يهاجر منها إنْ تيسَّر له، فإنْ لم يتيسَّر له، فإنَّه فيما يظهر أنَّه يكون معذورًا؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وبالله التَّوفيق.

قال: والدَّليل علىٰ الهجرة من السُّنَّة: قوله ﷺ: «**لا تنقطع الهجرة حتَّىٰ تنقطع التَّوبة، ولا تنقطع التَّوبة حتَّىٰ تطلع الشَّمس من مغربها**»(١).

هذا دليل علىٰ استمرار الهجرة، وأنَّها باقيةٌ ما بقيت الدُّنيا.

أقول: وفاة النَّبيِّ ﷺ في الثَّاني عشر من ربيعٍ الأوَّل، وفي العام العاشر من الهجرة؛ قال ﷻ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٤٤].

ثمَّ تولَّىٰ الخلافة بعده أبو بكرٍ، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ علي بن أبي طالبٍ بعد مقتل عثمان من قِبَل الخوارج سنة ٣٦ هـ.

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٧٩)، من حديث معاوية رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله: في «صحيح أبي داود» (٢٢٤١).

ودينُهُ باقٍ ما بقي القرآن بين أظهرنا، وما بقيت السُّنَّة في بُطُون الكُتُب.

لا خير إلَّا دلَّ الأُمَّة عليه، ولا شرَّ إلَّا حذَّرها منه. والخير الَّذي دلَّها عليه: التَّوحيد وجميع ما يحبُّه ويرضاه. والشَّرُّ الَّذي حذَّرها منه: الشِّرك وجميع ما يكرهه ويأباه.

أقول: إنَّ الأوامر والنَّواهي باقيةٌ في مصادرها الشَّرعيَّة من كتابٍ وسُنَّةٍ، ويجب علىٰ النَّاس أن يلتمسوها من مَظانِّها، ويعملوا بها؛ لأنَّ الله كَلَّفهم بذلك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر:٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ [الشورىٰ:٤٧، ٤٨].

وأشدُّ وأفظعُ ما يجب اجتنابه: هو الشِّرك الأكبر المُخرج من المِلَّة.

إنَّ طاعة رسول الله ﷺ واجبةٌ في كلِّ ما أَمَر به، وكلِّ ما نَهَىٰ عنه بشرط الاستطاعة؛ لأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

وكان النَّبيُّ ﷺ يبايع المؤمنين ويقول للمبايع: «**عليك السَّمعَ والطَّاعةَ**

فيما استطعتَ»[١]، حتَّىٰ قالت امرأةٌ من المؤمنات: «لَلهُ ورسولُهُ أرحمُ بنا من أنفسنا»[٢].

إنَّ وجوب طاعته ﷺ، واعتقاد عموم رسالته واجبٌ علىٰ كلِّ مُكلَّفٍ؛ كقوله جل وعلا: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقال ﷺ في حديث جابر في الخمس الخصائص: «وكان النَّبيُّ يُبعَث إلىٰ قومه خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلىٰ النَّاس عَامَّةً»[٣].

لم يَمُتْ حتَّىٰ أكمل الله به الدِّين؛ قال ﷻ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، أخبره الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر:٣٠، ٣١].

(١) أخرجه البخاري (٧٢٠٤)، ومسلم (٥٦) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤٥٥٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٥٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم بنحوه (٥٢١)، والحديث بتمامه عند البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**أُعطيت خمسًا لم يُعطهن أحدٌ قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحلَّت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلىٰ قومه خاصة وبعثت إلىٰ الناس عامة**».

البعث بعد الموت

□ وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُوا يُبْعَثُونَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه:٥٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح:١٧، ١٨].

وَبَعْدَ البَعْثِ مُحَاسَبُونَ، وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ [النجم:٣١].

التعليق

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبعد البعث مُحاسبون ومَجْزِيُّون عن أعمالهم»، إِنْ خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ.

قال جلَّ من قائل: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ [النجم:٣١].

فالله سيجزي كلَّ عبدٍ بما عمل؛ المحسنون يجزيهم بإحسانهم، والمسيئون يجزيهم بإساءتهم، وأهل الإحسان هم أتباع الرُّسُل، وأهل الإساءة هم مخالفوهم.

وقَدْ أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ بهلاك الأمم المُكذِّبة، وفي ضمن ذلك الأخبار؛ إنذارٌ لمَنْ يقرؤه ويسمعه من العواقب السَّيِّئة الَّتي لا بدَّ أن تحصل لمَنْ كَذَّب الرُّسُل، وكَفَر بما جاؤوا به؛ وذلك بأن يجمع الله عَزَّوَجَلَّ عليهم عذاب الدُّنْيا وعذاب الآخرة، أو يعافيهم من عذاب الدُّنيا، ثمَّ يجمع الله عليهم العذاب يوم القيامة في النَّار.

وبالله التَّوفيق.

التكذيب بالبعث كفر

□ ومَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ كَفَرَ.

والدَّليلُ: قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

التعليق

الإيمان بالبعث بعد الموت ركنٌ من أركان الإيمان، لا يتمُّ إيمان العبد إلَّا به.

ولذلك فإنَّ مَنْ كذَّب بالبعث بعد الموت كَفَر كفرًا يُخرجه من الإسلام إنْ كان مسلمًا، ويُوجب عليه الخُلُود في النَّار؛ قال تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

□ **لقَدْ ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن نماذج تدلُّ على البعث بعد الموت:**

۞ **النُّموذج الأوَّل منها:** إحياء القتيل الَّذي قُتِل من بني إسرائيل وَاشْتَجروا في قتلِهِ، وكان الَّذي قتله قريبٌ له، فاحتكموا إلىٰ موسىٰ، فأمرهم الله عَزَّوَجَلَّ أن يضربوه بعضوٍ من أعضاء بقرةٍ تُذْبَح، وبعد الحوار بين موسىٰ وقومه تَوصَّلوا

إلىٰ البقرة وذبحوها، فأمرهم الله ﷻ أن يضربوه ببعضها، فضربوه ببعضها، فعادت إليه الحياة، فقام وجلس، ثمَّ قال: قتلني فلانٌ، ثمَّ عاد ميتًا[1].

۞ **والنُّموذج الثَّاني:** الَّذي مَرَّ علىٰ القرية بعد أن خربت وخرج منها أهلها، فقال: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، كيف يحيي الله هذه بعد موتها ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة:٢٥٩] بعد ذلك، كما ذكر الله ﷻ ذلك في سورة البقرة، وأحيا حماره وهو ينظر، وأُتِيَ له بطعامه وشرابه لم يَتسنَّه؛ أي: لم يَتعفَّنْ من تلك المُدَّة الطَّويلة.

۞ **النُّموذج الثَّالث:** الَّذي ذكره الله أيضًا في سورة البقرة أنَّ جماعةً خرجوا من ديارهم وهم أُلُوفٌ حَذَر الموت؛ أي: حاذرين مِنْ وقوعه بهم، فقال لهم الله: موتوا، ثمَّ أحياهم بعد ذلك، وماتوا بآجالهم.

وهذه النَّمَاذج كلُّها في سورة البقرة.

۞ **النُّموذج الرَّابع:** في سورة الكهف، وهم أصحاب الكهف.

وهذه النَّماذج جَعَلها الله لعباده في الحياة الدُّنيا ليستدلُّوا بها علىٰ الحياة بعد الموت، وإلَّا فإنَّ الحياة بعد الموت ثابتةٌ بخبر الله عنها.

□ **والمُهِمُّ:** أنَّ الحياة بعد الموت يوم القيامة، والإيمان بها يحصل للنَّاس في عَرَصات القيامة، والجنَّة والنَّار الَّتي يَؤولون إليها كلُّ ذلك داخلٌ في الرُّكْن الخامس، وهو الإيمان باليوم الآخر.

(١) أخرج القصةَ ابنُ جرير في «تفسيره» (٢/ ١٨٥، ١٨٦).

وقَدْ ردَّ الله علىٰ المُكذِّبين بهذا اليوم في آياتٍ عِدَّةٍ، ودلَّ إحياء الأرض بعد موتها علىٰ ذلك، نسأل الله أن يصبغ قلوبنا بصِبْغة الإيمان.

قوله تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ﴾، الزَّعْم: هو مَطيَّة الكذب كما يقولون! وهو القول بلا دليلٍ.

۞ **قَولُه**: ﴿أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ﴾؛ أي: أن لن يحيوا بعد الموت. قال الله عَزَّوَجَلَّ: قل يا مُحمَّد: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

قال تعالىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة:١-٤].

مهمة الرسل: البشارة والنذارة

□ **وَأَرْسَلَ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.**

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عليه السلام، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء:١٦٣].

التعليق

ثمَّ قال: «**وأرسل الله جميع الرُّسُل**» ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

الرُّسُل: هم الأَدِلَّاء على الله، وهم القادة إلىٰ مرضاته وجِنَانه، فبهم يُعرَف الله عز وجل، وتُعرَف مرضاته والطُّرُق الموصلة إليها، فلا سبيل إليه إلَّا من طريقهم.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف:٣٥، ٣٦].

❐ **فالعبادة فيها شرطان:**

۞ **أوَّلاً:** شرط الإخلاص.

۞ **وثانيًا:** شرط المتابعة بأن تكون مُتَّبعًا لرسولٍ من الرُّسُل.

وأخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ أوَّل الرُّسل: نوح عليه الصلاة والسلام.

وآخرهم: مُحمَّد ﷺ، وهذه الحقائق مقطوعٌ بها لا تقبل الجدل، قال جلَّ من قائل: ﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء:١٦٣].

وخاتمهم مُحمَّدٌ ﷺ؛ لقوله جل وعلا: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب:٤٠].

دعوة الرسل واحدة
وهي: عبادة الله واجتناب الطاغوت

□ وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَىٰ جَمِيعِ العِبَادِ الكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ: «مَعْنَىٰ الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ العَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ».

التعليق

ولقَدْ بعث الله في كلِّ أُمَّةٍ رسولًا يُحذِّرهم وينذرهم ويأمرهم بعبادة الله، وينهاهم عن عبادة الطَّاغوت، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

□ **فكلُّ الرُّسُل مُتَّفقون على هذين الأمرين:**

١- الأمر بعبادة الله وحده.

٢- النَّهْي عن عبادة الطَّاغوت والكفر به.

والطَّاغوت: يشمل كلَّ مَنْ عُبِدَ بباطلٍ.

وأحسن ما فُسِّر به الطَّاغوت قول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنىٰ الطَّاغوت: ما تجاوز به العبد حَدَّه من معبودٍ، أو مَتبوعٍ، أو مُطاعٍ»(١).

فمَنْ عُبِدَ من دون الله عَزَّوَجَلَّ فقَدْ تجاوز به العابد حَدَّه؛ إذ من حقِّ كلِّ مخلوقٍ أن يكون عبدًا لا معبودًا، وأن يدين لله بالأُلُوهيَّة وحده.

وكذلك قوله: «أو متبوع»، فالعبد يجب عليه أن يكون تابعًا لرسول الله ﷺ فيما أمر الله به في كتابه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ، فإنْ تَبِعَ مخلوقًا وترك المتابعة لرسول الله ﷺ فإنَّه قد اتَّخذَه طاغوتًا، ومن حقِّ كلِّ مخلوقٍ أن يكون تابعًا لكتاب الله، ولسُنَّة رسول الله ﷺ، فمَنِ اتَّخذ المخلوق متبوعًا، فقَدْ تجاوز به حدَّه، وغلا فيه غلوًّا يخرجه عن الحقِّ؛ لأنَّ الطَّاعة المطلقة حقٌّ لله تعالىٰ ولرسوله ﷺ.

أمَّا قوله: «أو مُطاع»، فهو كذلك أيضًا، وقَدْ قال النَّبيُّ ﷺ: «**لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق**»(٢).

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٥٠)، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٣١) (١٠٩٥)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٣٤٧٧).

من هم رؤوس الطواغيت؟

❐ وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرةٌ، رُؤوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَىٰ عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنِ ادَّعَىٰ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وَهَذَا مَعْنَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

التعليق

❐ **الطواغيت كثيرون، ورؤوسهم خمسةٌ:**

«إبليس لعنه الله، ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ، ومَنْ دعا النَّاس إلىٰ عبادة نفسه، ومَنِ ادَّعىٰ شيئًا من علم الغيب، ومَنْ حكم بغير ما أنزل الله».

۞ فإبليس: هو رأس الطَّواغيت؛ لأنَّه عارضَ ربَّه في أمره، واعترض عليه في سلطانه؛ فلعنه الله وأبعده من الجنَّة، وطرده منها.

۞ ومَنْ عُبِدَ وهو راضٍ: فقَدِ اتَّخذ مقام الأُلُوهيَّة، وأخذ ما ليس له، إذ من حقِّه أن يكون عابدًا لا معبودًا، ومربوبًا لا ربًّا؛ لأنَّه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا.

۞ ومَنْ دعا النَّاس إلىٰ عبادة نفسه

۞ كذلك مَنِ ادَّعىٰ شيئًا من علم الغيب، فقَدِ ادَّعَىٰ حقَّ الأُلُوهيَّة.

۞ ومَنْ حكم بغير ما أنزل الله؛ فقَدِ ادَّعَىٰ حقَّ الأُلُوهيَّة.

قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورىٰ:٢١].

رأس الأمر الإسلام

□ وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ.

التعليق

وكلُّ ذلك خروجٌ عن طاعة الله ﷻ وتمرُّدٌ عليه، وادِّعاءٌ لحقِّه بغير حقٍّ، قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال: «وهذا هو معنىٰ لا إله إلَّا الله».

قلت: ومعنىٰ لا إله إلَّا الله: لا معبود بحقٍّ في الوجود إلَّا الله.

۞ **قَولُه:** «وفي الحديث: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصَّلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»[1].

(١) جزء من حديث أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجة (٣٩٧٣) عن معاذ رضي الله عنه، وصححه الألباني رحمه الله في « صحح ابن ماجة» (٣٢٠٩).

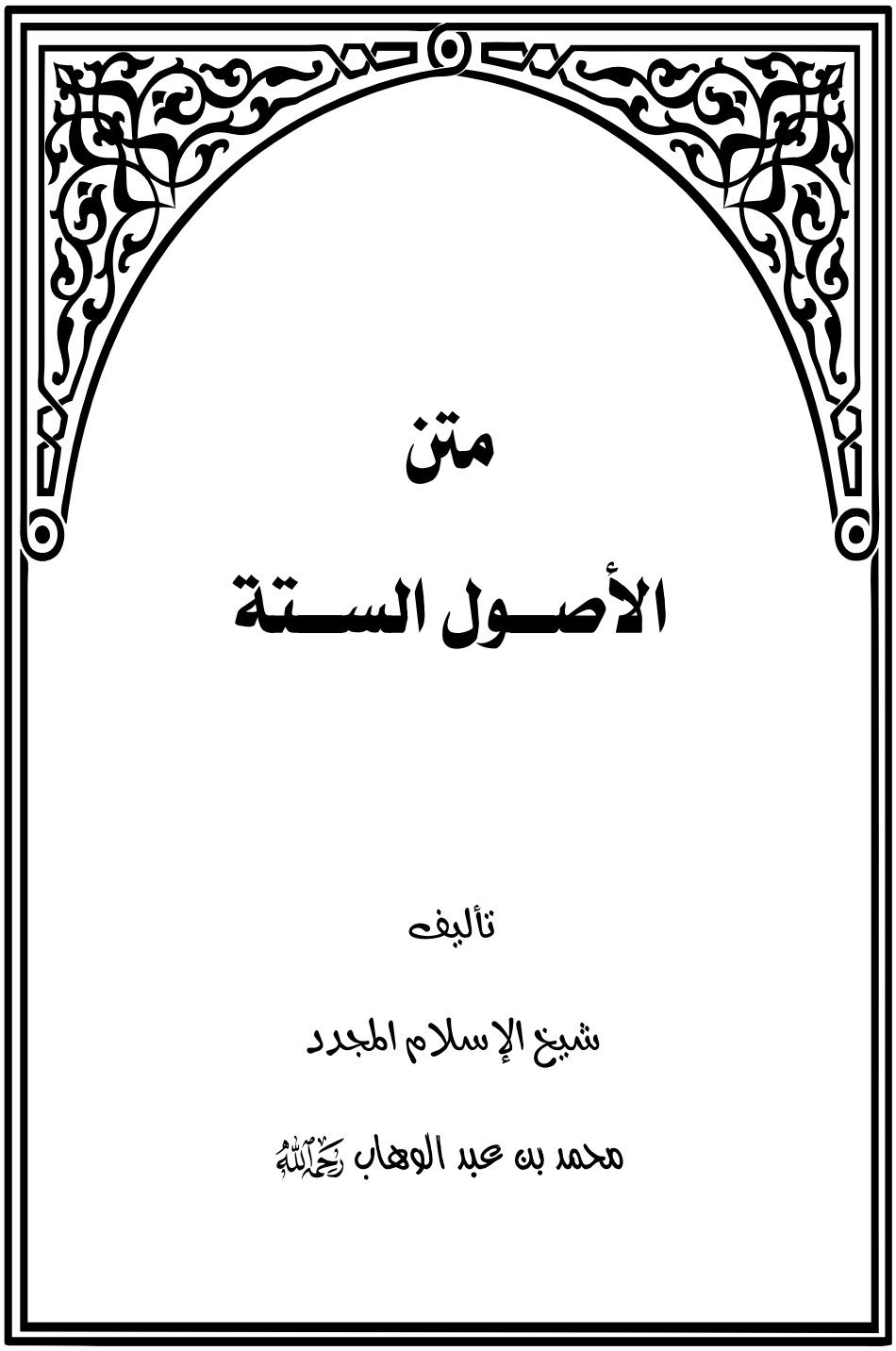
فالإسلام: هو رأس الأمر، إِذْ لا يدخل أحدٌ الجنَّة إلَّا بالإسلام، ولا يثبت له الأمن مِنْ عذاب الله إلَّا بالإسلام، ولا تصحُّ صلاته، وزكاته، وصومه، وحَجُّه إلَّا بالإسلام.

وعموده الصَّلاة؛ أي: أنَّ العمود الَّذي يقوم عليه فسطاط الإسلام هو الصَّلاة، فإِنْ لم يكن للدِّين عمودٌ، فقَدْ ذَهَب الدِّين.

وقوله: «**وذروة سنامه الجهاد**»؛ أي: أعلاه، وأفضل شيءٍ فيه هو الجهاد في سبيل الله.

وبذلك تَمَّتْ هذه التَّعْليقات علىٰ كتاب «الأصول الثلاثة»، وَفَّق الله الجميع لِمَا يحبُّه ويرضاه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



متن

الأصــول الســـتة

تأليف

شيخ الإسلام المجدد

محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ

المتن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مِنْ أَعْجَبِ العُجَابِ وَأَكبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدرَةِ المَلِكِ الغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُولٍ، بَيَّنَها اللهُ تَعَالَىٰ بَيَانًا وَاضِحًا لِلعَوَامِّ فَوقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّونَ، ثُمَّ بَعدَ هَذَا غَلِطَ فِيهَا كَثِيرٌ مِن أَذكِيَاءِ العَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِي آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ القَلِيلِ.

الأصلُ الأوَّلُ: إِخلَاصُ الدِّينِ لله تَعَالَىٰ وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الَّذِي هُوَ الشِّركُ بِاللهِ، وَكَونُ أَكْثَرِ القُرآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الأَصْلِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بِكَلَامٍ يَفهَمُهُ أَبْلَدُ العَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَىٰ أَكثَرِ الأُمَّةِ مَا صَارَ، أَظهَرَ لَهُمُ الشَّيطَانُ الإِخلَاصَ فِي صُورَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِينَ، وَالتَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهِم، وَأَظهَرَ لَهُمُ الشِّركَ بِاللهِ فِي صُورَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِينَ وَأَتبَاعِهِم.

الأصلُ الثَّانِي: أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، ونَهىٰ عَنِ التفرُّقِ فِيهِ، فبيَّنَ اللهُ هَذا بَيانًا شَافيًا تَفْهَمُهُ العوامُّ، ونَهَانَا أَنْ نكُونَ كالَّذِينَ تَفرَّقوا وَاخْتَلفُوا قَبْلَنا فَهَلَكُوا، وذَكرَ أَنَّهُ أمَرَ المُسلِمِينَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ، ونَهاهُمْ عَنِ التفرُّقِ فِيهِ.

ويزيدُهُ وضُوحًا مَا وَردَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِن العَجبِ العُجابِ فِي ذَلك، ثُم صارَ الأمرُ إلىٰ أنَّ الافْتِرَاقَ فِي أصُولِ الدِّين وفُروعِهِ هُو العِلمُ والفِقهُ فِي الدِّينِ، وصَارَ الاجتماعُ فِي الدِّين لا يقُولُه إلَّا زِنديقٌ أو مَجنُونٌ.

الأصلُ الثَّالِثُ: إنَّ مِن تَمَامِ الاجتِمَاعِ: السَّمعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَينَا وَلَو كَانَ عَبدًا حَبَشِيًّا، فَبيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا كَافِيًا بِوُجُوهٍ مِن أَنوَاعِ البَيَانِ شَرعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الأَصْلُ لَا يُعرَفُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلمَ، فَكَيفَ العَمَلُ بِهِ؟

الأصلُ الرَّابِعُ: بَيَانُ العِلمِ وَالعُلَمَاءِ، وَالفِقهِ والفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِم وَلَيسَ مِنهُم، وَقَد بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الأَصلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِن قَولِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾ [البقرة:٤٠]، إلىٰ قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٤٧].

وَيَزِيدُهُ وُضُوحًا: مَا صَرَّحَت بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا الكَلَامِ الكَثِيرِ البَيِّنِ الوَاضِحِ لِلعَامِّيِّ البَلِيدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغرَبَ الأَشيَاءِ، وَصَارَ العِلمُ وَالفِقهُ هُوَ البِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِندَهُم لَبْسُ الحَقِّ بِالبَاطِلِ، وَصَارَ العِلمُ الَّذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الخَلقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّه بِهِ إِلَّا زِندِيقٌ أَو مَجنُونٌ، وَصَارَ مَنْ أَنكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحذِيرِ مِنهُ وَالنَّهي عَنهُ هُوَ الفَقِيهُ العَالِمُ.

الأصلُ الخامِسُ: بَيَانُ اللهِ سُبحَانَهُ لأَولِيَاءِ اللهِ، وَتَفرِيقُهُ بَينَهُمْ وَبَينَ المُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ مِنْ أَعدَاءِ اللهِ المُنَافِقِينَ وَالفُجَّار، وَيَكفِي فِي هَذَا آيَةٌ مِن سُورَةِ آلِ عِمرَانَ وَهِي قَولُهُ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١] **الآيَة.**

وَآيَةٌ فِي سُورَةِ المَائِدَةِ، وَهِي قَولُهُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤] **الآيَة.**

وَآيَةٌ فِي يُونُسَ، وَهِي قَولُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣].

ثُمَّ صَارَ الأَمرُ عِندَ أَكثَرِ مَنْ يَدَّعِي العِلْمَ، وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرعِ إِلَىٰ أَنَّ الأَولِيَاءَ لَا بُدَّ فِيهِمْ مِن تَركِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ، وَمَن تَبِعَهُم فَلَيسَ مِنهُم.

وَلَا بُدَّ مِن تَركِ الجِهَادِ، فَمَن جَاهَدَ فَلَيسَ مِنهُم، وَلَا بُدَّ مِن تَركِ الإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ، فَمَن تَعَهَّدَ بِالإِيمَانِ وَالتَّقوَىٰ فَلَيسَ مِنهُمْ، يَا رَبَّنَا نَسأَلُكَ العَفوَ وَالعَافِيَةَ؛ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

الأَصلُ السَّادِسُ: رَدُّ الشُّبهَةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِي تَرْكِ القُرآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الآرَاءِ وَالأَهْوَاءِ المُتَفَرِّقَةِ المُختَلِفَةِ، وَهِيَ أَنَّ القُرآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعرِفُهُمَا إِلَّا المُجتَهِدُ المُطلَقُ، وَالمُجتَهِدُ هُوَ المَوصُوفُ بِكَذَا وَكَذَا، أَوصَافٌ لَعَلَّهَا لَا تُوجَدُ تَامَّةً فِي أَبِي بَكرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَم يَكُنِ الإِنسَانُ كَذَلِكَ فَليُعرِضْ عَنهُمَا فَرضًا حَتمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَمَنْ طَلَبَ الهُدَىٰ مِنهُمَا فَهُوَ: إِمَّا زِندِيقٌ، وَإِمَّا مَجنُونٌ؛ لأَجلِ صُعُوبَةِ فَهمِهِمَا.

فَسُبحَانَ الله وَبِحمدِهِ! كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبحَانَهُ شَرعًا وَقَدَرًا، خَلقًا وَأَمرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبهَةِ المَلعُونَةِ مِن وُجُوهٍ شَتَّىٰ بَلَغَتْ إِلَىٰ حَدِّ الضَّرُورِيَّاتِ العَامَّةِ، وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لَا يَعلَمُونَ: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس:٧-١١].

آخِرُهُ، وَالحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ.

وَصَلَّىٰ الله عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّم تَسلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ.